
موسى

مدارس أحد كنيسة السيدة العذراء
بمحرم بك

٢

القديس أنبا موسى الأسود
القس

مكتبة مدارس الأحد - كنيسة السيدة العذراء بمحرم بك

اهـــــداء

(إلى أبى القوى الأنبا موسى)

موسى . موسى . أطلب عنا ولا تهملنا أنت الذى ذقت حروب الشيطان والآلام الشديدة ، إجتزت أتون النار من أجل اسم يسوع ليته بطلباتك يصنع معنا رحمة.

طوباك بالحقيقة يا من صرت عبداً للمسيح بعد أن كنت عبدا للخطايا منذ حداثتك ولكن الله برحمته رفعها عنك وأعطاك بالأكثر الغلبة على الشياطين .

ابن الله خلصك ياسيدنا العظيم وأيضاً صرت كاهنا فى ديرك بوادى هبيب بعد أن ثبت فى الوداعة مثل حمل .

Ⲙⲱⲩ̀ⲥⲏⲥ, Ⲙⲱⲩ̀ⲥⲏⲥ, ⲧⲱⲃϩ ⲉ̀ϩⲣⲏⲓ ⲉϫⲱⲛ ⲙ̀ⲡⲉⲣⲭⲁⲛ: ⲛ̀ⲥⲱⲕ. ⲛ̀ⲑⲟⲕ ⲉⲧⲁⲕϫⲉⲙϯⲡⲓ ⲛ̀ⲛⲓⲃⲱⲧⲥ ⲙ̀ⲡⲥⲁⲧⲁⲛⲁⲥ ⲛⲉⲙ ϩⲁⲛⲙ̀ⲕⲁϩ ⲛ̀ϫⲟⲥⲓ ⲁⲕⲥⲓⲛⲓ ϩⲓ ϯⲭⲣⲱ ⲛ̀ⲥⲁⲧⲉ ⲉⲑⲃⲉ ⲫ̀ⲣⲁⲛ: ⲛ̀Ⲓⲏ̅ⲥ̅, ⲙⲁⲣⲉϥ ϩⲓⲧⲉⲛ ⲛⲉⲕϯϩⲟ ⲉⲣⲟⲩⲛⲁⲓ ⲛⲉⲙⲁⲛ.

Ⲱⲟⲩⲛⲓⲁⲧⲕ ϧⲉⲛ ⲟⲩⲙⲉⲑⲙⲏⲓ ⲉⲕⲟⲓ ⲛ̀ⲭⲣⲓⲥⲧⲟⲇⲟⲗⲟⲥ: ⲙⲉⲛⲉⲛⲥⲁ ⲉⲧⲁⲕⲟⲓ ⲙ̀ⲃⲱⲕ ⲛ̀ⲛⲓⲛⲟⲃⲓ ⲓⲥϫⲉⲛ ⲧⲉⲕⲙⲉⲧⲁⲗⲟⲩ: ⲁ Ⲫϯ ⲉⲑⲃⲉ ⲡⲉϥⲛⲁⲓ ⲉⲃⲟⲗ ϩⲁⲣⲟⲕ ⲁϥⲟⲗⲟⲩ: ⲛ̀ϩⲟⲩⲟ ⲇⲉ ⲁϥϯⲛⲁⲕ ⲙ̀ⲡⲓϭⲣⲟ ⲉ̀ⲛⲓⲇⲓⲁⲃⲟⲗⲟⲥ.

Ⲩⲓⲟⲥ Ⲑⲉⲟⲩ ⲁϥⲛⲁϩⲙⲉⲕ ⲱ ⲡⲉⲛⲛⲓϣϯ ⲁ̀ⲙⲏⲛⲓ ⲡⲁⲗⲓⲛ ⲟⲛ ⲁϥⲁⲓⲕ ⲛ̀ⲟⲩⲏⲃ ϧⲉⲛ ⲡⲉⲕⲁⲃⲏⲧ ϧⲉⲛ Ϣⲓϩⲏⲧ: ⲙⲉⲛⲉⲛⲥⲁ ⲉⲧⲁⲕϩⲉⲙⲥⲓ ϧⲉⲛ ϯⲙⲉⲧⲣⲉⲙⲣⲁⲩϣ ⲙ̀ⲫ̀ⲣⲏϯ ⲛ̀ⲟⲩϩⲓⲏⲃ

جسد مقدس هو جسدك وجسد أنبا ايسيذورس ، هذان الكائنان فى دير البرموس ، السلام لكما يا أنبا موسى وأنبا ايسيذورس أبناء مكاريوس ، أذكرونا أمام يسوع المسيح .

الرب أرسل لك رحمته وهداك إلى خلاصه واحمالك الثقيلة رفعها عنك فاسترح الآن وعيد معه .

نعم ياسيدى إذ أقدم لك هذا الكتاب أرجو أن يعطينى الله قوة لكى أكرمك أيها المغروس فى حديقة القديسين ، هؤلاء الذين نالوا الإكليل الذى لا يفنى .

Ⲥⲱⲙⲁ ⲉ̅ⲑ̅ⲩ̅ ⲡⲉ ⲡⲉⲕⲥⲱⲙⲁ ⲛⲉⲙ ⲫⲁ ⲁⲃⲃⲁ Ⲓⲥⲓⲇⲱⲣⲟⲥ: ⲛⲁⲓ ⲉⲧⲭⲏ ϧⲉⲛ ⲡⲓⲁⲃⲏⲧ ⲛ̀Ⲡⲓⲣⲱⲙⲉⲟⲥ: ⲭⲉⲣⲉ ⲁⲃⲃⲁ Ⲙⲱⲩⲥⲏⲥ ⲛⲉⲙ ⲁⲃⲃⲁ Ⲓⲥⲓⲇⲱⲣⲟⲥ ⲛⲉⲛϣⲏⲣⲓ ⲙ̀Ⲙⲁⲕⲁⲣⲓⲟⲥ: ⲁⲣⲓ ⲡⲉⲛⲙⲉⲩⲓ ⲛⲁϩⲣⲉⲛ Ⲓⲏ̅ⲥ̅ Ⲡⲭ̅ⲥ̅.

Ⲡ̀ϭ̅ⲥ̅ ⲁϥⲟⲩⲱⲣⲡ ϩⲁⲣⲟⲕ ⲙ̀ⲡⲉϥⲛⲁⲓ: ⲁϥϭⲓⲙⲱⲓⲧ ϧⲁϫⲱⲕ ⲉ̀ϧⲟⲩⲛ ⲉ̀ⲡⲉϥⲟⲩϫⲁⲓ ⲛⲉⲕⲟⲩⲱⲧⲡ ⲉⲧϩⲟⲣϣ ⲁϥϥⲁⲓ: ϩⲁⲣⲟⲕ ⲙⲁⲙ̀ⲧⲟⲛ ⲙ̀ⲙⲟⲕ ϯⲛⲟⲩ, ⲟⲩⲟϩ ⲛⲉⲙⲁϥ ⲁ̀ⲣⲓϣⲁⲓ.

Ⲥⲉ ⲡⲁϭ̅ⲥ̅ ϧⲉⲛ ⲡⲁⲓϣⲉⲛⲓⲟ̀ⲣⲓ ⲛⲏⲓ ⲛⲁⲕ ⲙ̀ⲡⲁⲓϫⲱⲙ ϯϯϩⲟ ⲉ̀ⲣⲟϥ ⲙ̀Ⲫϯ ⲉⲑⲣⲉϥⲧⲏⲓⲥ ⲛⲏⲓ ⲛ̀ⲧⲁⲧⲁⲓⲟⲕ ⲱ ⲫⲏⲉⲧⲣⲏⲧ ϧⲉⲛ ⲡⲓϭⲱⲙ ⲛ̀ⲧⲉ ⲛⲏⲉ̅ⲑ̅ⲩ̅, ⲛⲁⲓ ⲉⲧⲁⲩϭⲓ ⲙ̀ⲡⲓⲭ̀ⲗⲟⲙ ⲛ̀ⲁⲧⲗⲱⲙ.

يوسف حبيب

Ⲓⲱⲥⲏⲫ Ϩⲁⲡⲏⲡ

مقدمة عـــامة

لسلسلة قديسي التوبة

بين يديك يا أخي القارىء السيرة الثانية (١) من سير قديسي التوبة الذين تفخر بهم كنيستنا القبطية وهي سيرة القديس الأنبا موسى الأسود أحد الذين يذكرون في مجمع القديسين في القداس الإلهي والتسبحة .

«عاش هذا القديس قبل معرفته لله عيشة ردية فكان زعيماً لعصابة لصوص، مجرماً وأيضاً ملحداً وزانياً في قمة الأشرار . . . غير أن النعمة الإلهية غيرت حياته ولا زالت النعمة الإلهية تغير حياة الكثيرين بالإيمان . وحياة هذا القديس وتوبته وتفاصيل حياته مع الله تكشف لنا بوضوح طريق التوبة وكيفية التجديد الحقيقي الكلي كما تبين لنا أثر التدريب الروحي في النمو والارتقاء في سلم الفضائل بطريقة تصلح لكل الذين يريدون أن يبدأوا حياتهم الروحية وأيضاً الذين ساروا في الطريق . فنجد عرضنا في هذا الكتاب يتدرج في التداريب الروحية من أسهلها الى أعمقها قوة بطريقة سلبية في الإرشاد وتنكشف في ثناياها حروب الجسد الثائر وكيفية التغلب

(١) كانت السيرة الأولى هي (سيرة القديسة مريم المصرية والأب زوسيما القس) وتشمل هذه المجموعة سير القديسين الذين كانوا في بداية حياتهم بعيدين كل البعد عن القداسة ثم تغيروا تغيراً كاملاً بالتوبة .

عليها وكذلك حيل ابليس عدو كل بر وكيفية فهمها والانتصار عليها بنعمة الله وامكانيات القداسة التي وهبها لنا الله . هذا كله عرض بطريقة عملية الى أقصى الحدود بل ومجسمة على مثال ماصنع هذا القديس في حياته .

وقد اشتمل الكتاب على تعليقات روحية تلائم حياتنا في هذا العالم ويشمل الكتاب قصة حياة هذا القديس منذ حياته الأولى الشريرة ثم بداية صعوده سلم الفضائل من أول درجة وهي الاتضاع حتى قمة جميع الفضائل وهي المحبة .

كذلك توخينا تقسيم الفصول على أساس هذا النظام الروحي ثم انتقل الى مرحلة جديدة نال فيها القديس موسى رتبة الكهنوت فأصبح رئيساً على دير لأنه بعد ما مر بجميع المراحل في حياته الفردية الروحية وانتصر استطاع بعدئذ أن يقود آخرين في الطريق الذي اختبره أولاً على مثال ماقاله بولس الرسول (كونوا متمثلين بي كما أنا بالمسيح)* »

† † †

هذا الكتاب

لكي نوضح قصة هذا الكتاب نريد أن نتكلم عن عمل النعمة في حياة الإنسان التي عملت في حياة هذا القديس عن طريق المثل الروحية والقدوة الموجودة في رهبان الإسقيط ، وقد كان لهؤلاء الآباء أثر عميق جداً على حياة الأشرار التائبين حينذاك ، وحتى

(*) ١كو ١١ : ١

على الكنيسة كلها أكثر مما لو عاش هؤلاء الآباء فى العالم نفسه كما يقترح البعض معترضاً على الرهبنة وكما يفهم من قول القديس أثناسيوس الرسولى (أنه منذ ضعفت الرهبنة والكهنوت ضعفت الكنيسة كلها) *

ولكن ربما تسأل كيف يكون التجديد فى حيـــاة هؤلاء ؟ وما عمل النعمة فى البشر أجمع ؟ ولماذا تختلف نتائج عمل النعمة من إنسان لآخر ؟ ولماذا لا أتغير أنا كما تغير القديس موسى الأسود وغيره من القديسين ؟

للاجابة على هذه الأسئلة كلها يجب أن نعرف :

١ - قصة التوبة

اننا لم نكتب لك أيها الأخ عن أناس ولدوا قديسين لئلا تفشل إذا قارنت ذاتك بهم ! بل نكتب لك عن سير قتلة وزناة ولصوص ومستبيحين حولتهم التوبة الى أبرار بل والى أعاظم قديسين . تأمل اذن معى يا أخى حياة هؤلاء التائبين لئلا يكون العدو قد اغلق دونك الطريق المؤدى الى التوبة فهذا هو عمل الله

* عن مخطوط وجدت بدير القديس الأنبا انطونيوس .

فى بشر مثلنا بل ربما كانوا أشر منا ، فلم يصبح هؤلاء قديسين بقوتهم الشخصية لأن واحد هو الله الذى يقدس الجميع بدم إبنه يسوع المسيح فهو الذى (... يردهم ...) (١).

فالفارق الوحيد بيننا وبينهم هو أن هؤلاء حالما مست النعمة الألهية قلوبهم للوقت شعروا بخلاص يسوع وقدموا توبتهم امامه عن حياتهم الماضية وسلموا ذواتهم له بالإتضاع والثقة فيه فصنع فيهم عجائب كثيرة .

لماذا حولت النعمة هؤلاء دون غيرهم ؟ إن من أعمال الله فى كل زمان أن يمر بكل أنسان ويدعوه الى خلاصه حاثاً أياه على التوبة والرجوع اليه وقبول الدعوة الى الوليمة السماوية (٢) بطرق تختلف بحسب حالة كل إنسان - ولا يستطيع أحد أن يقول أنه لم يشعر ولو مرة باشتياق يدعوه نحو الله أو بهزة عنيفة تحثه على التوبة ! فكل انسان يصل اليه خلاص يسوع بنفس الكيف الذى وصل به الى القديسين والا كان الله ظالما وحاشا له ذلك (٣)

ولكن الأختلاف يظهر فى مدى الأستجابة لهذا الخلاص -

(١) رو ٨ : ٣٠ (٢) لو ١٤ : ١٦ ؟ ٢٣
(٣) رو ١٠ : ١٢ ، ١٨

فبعضنا يتكاسل ويهمل (١) وينسى هذه الهزة التى أثرت على نفسه وهؤلاء كثيرون ! ويستغل هذه اللحظة عدو كل بر ويلق بهم أكثر فى مباهج هذا العالم الكاذبة أو فى مشاغله المتعددة .

ولكن هناك من يستغل هذه الفرصة التى أتيحت له ويقوم لوقته نابذاً حياته الشريرة ليعيش مع الله وهؤلاء من نسميهم القديسين . وفى هذه اللحظة تتقدم النعمة وتكشف لهم أكثر عن جمال الحياة مع الله - كما تقدم أبليس سابقاً ليقدم للمتكاسلين جمال شهوات هذا العالم الكاذب .

الجهاد وحرية الأنسان :

بعدما تكشف النعمة للأنسان سر الحياة الأبدية وقوة الخلاص تقف محايدة أمام أختيار الأنسان بكامل حريته للمعيشة مع الله أو مع العالم ؟ ! ويحدث بعد ذلك صراع فى الإنسان بين حياته الشريرة الأولى وبين الحياة مع الله وحينئذ تبرز الحاجة الى الجهاد ولو حتى الدم ضد الخطية لمن يريد أن يعيش مع الله (٢) (إن كان أحد يجاهد لايكلل إن لم يجاهد قانونياً) (٣) .

(١) مت ٢٥ : ١٨ (٢) عب ١٢ : ٤
(٣) ٢ تى ٢ : ٥

والجهاد نوعان : نوع سلبي وهو الإمتناع عن إرتكاب الخطايا وآخر ايجابى هو السعى لاكتساب الفضائل (١) وفى كل من النوعين تقف النعمة تنتظر طلب الإنسان لمعونة الله وحتى تتقدم لمعونته ولا يمكن أن يدخل المسيح قلب إنسان ويعمل فيه إلابناء عن كامل حرية الإنسان (٢). هذه هى قصة عمل الله فى البشر وتحويلهم الى قديسين . . . فخلاص الله يتقدم للجميع بلا إستثناء ولكن من يحصل عليه ويستفيد منه ويحيا به هم المؤمنون المجتهدون فقط (٣) . هؤلاء القديسين قبلوا الخلاص ثم جاهدوا ليكملوا نقائص شدائد المسيح فى أجسادهم (٤) وجاهدوا لاكتساب الفضائل ليصلوا الى الكمال المسيحى (٥).

فليس حسناً أن نتمجد مع المسيح بدون أن نكون شركاء فى آلامه (٦) .

وأنت يا أخى لماذا تفشل ؟ !

ربما تقول بأن طريق الحياة الأبدية قد أغلق وانه قد أنتهى

(١) ٢ تى ٤ : ٧ ، تث ٣٢ : ٢٨ (٢) رؤ ٣ : ٢٠
(٣) ١ تى ٦ : ١٢ ، مت ٢٥ : ٩ (٤) كو ١ : ٢٤
(٥) مت ٦ : ٢٨ (٦) فى ١ : ٢٩ . فى ٣ : ١٠

عهد القديسين ولا مجال للتوبة والعيشة مع الله أو تقول أن حرب الخطية قد أشتد وأغراءاتها كثرت عن ذى قبل أو حتى أن تقول مع نيقوديموس كيف أولد وأنا شيخ ؟!

كاذبة تماماً هى هذه الأفكار وخادعة ومضللة هى هذه الأحاسيس التى تجول بذهنك ياأخى ! وأن أردت أن تتحقق صدق ماأقول تعال لنفهم الأمر سويا :

٢- طريق التوبة «يسوع هو الباب(١) . . والطريق» (٢)

ياللعجب من ذا الذى يشهد عن باب الحياة أنه أغلق أو عن طريق التوبة أنه سد ! ! فى حين أن الباب ذاته مفتوحا ينادينا قائلا (توبوا . . . (٣)) والطريق ما زال يدعونا (كونوا قديسين (٤)) فالباب فاتح ذراعيه يدعو والطريق معبد يشجع بل أنه من كثرة من مروا فيه أزداد تعبداً ووضوحاً .

٣- معطلات التوبة

أن أهم وسيلة يحاربنا بها عدو الخير هى تأجيل التوبة فاذا

(١) يو ١٠ : ٧ (٢) يوحنا ١٤ : ٦
(٣) مت ٤ : ١٧ (٤) مت ٥ : ١٨

ظللنا على ذلك مدة طويلة نصل الى عدم الثقة فى النصرة ثم يتولد فينا عدم القدرة على التقدم فى الحياة الروحية ثم نقع فى فقدان الثقة فى وجود اله مخلص فيدب فينا اليأس والكسل وبالتالى تتغلب علينا حياة الشر التى هى فى طبيعتنا أصلا (١) يحبينا عدو الخير فى الشر فنكره الحياة الأبدية لأننا أحببنا العالم ومافيه وأخيرا نستهزىء بالعيشة مع الله (٢) وبالتالى لكل من يعيشون معه فيبدو لنا منظر الحياة الأبدية الجميل المسبي للعقول والأفكار كأنه جهالة .

هذه هى قصة الفشل والهلاك التى يقدمها إبليس لتابعيه . تأمل معى يا أخى كيف نصل إلى هذه الحالة البائسة ! وهذا كله بسبب التأجيل والكسل واليأس ولكن لماذا يقودك عدوك من هزيمة إلى هزيمة حتى تكره حياتك أخيرا ؟ فى حين أن غيرك (يسير من نصرة إلى نصرة) (٣).
أنه جيد أن تشعر بخطاياك وشقائك ولكن لا ينبغى أن يستمر

(١) تك ٨ : ٢١ (٢) تك ٢٥ : ٣٤
(٣) مز ٨٤ : ٧

فيك هذا الشعور وحده طويلا بل يجب أن تعرف أيضاً خلاص يسوع وقوة النصرة وجمـــال السلام الحقيق الذى يملأ النفس والقلب فيقودك هذا لا الى الفشل واليأس بل إلى التوبة والرجاء.

أيضاً أنه مهاكان ذكاء أبليس وحكمته فى محـــاربتنا لكن الحكمة النازلة من عند أبى الأنوار والتى يهبها لمن يطلبها أعظم منها بما لايقاس (١).

كذلك أن خداعاته مكشوفة ومعروفة (٢) فهو قد استخدمها مع كل من سبقونا منذ أبوينا الأولين حتى يومنـا هـذا ، لكن القديسين كشفوها لنا وعلمونا كيف إنتصروا عليها.

إن الخطية مها زادت مظاهرها فى هذه الأيام ولكن لاتظن أن حروبها قد إزدادت عن ذى قبل (٣). كما يجب أن تعلم ياأخى أنه كلمـا كثرت الخطية كلمـا تحتم أن نزيد جهادنا ولاتكون النصرة عظيمة الابمقدار الجهاد وبمقدار عظمة النصرة يكون بهاء الإكليل وازدياد الآلام يزيد ثقل المجد الأبدى (٤)

---

(١) يع ١ : ٥ (٢) ٢ كو ٢ : ٣٣

(٣) تك ١٩ : ٢٠ ، ١٩ : ٥ (٤) ٢ كو ٤ : ١٧

فلا تهربوا من الآلام (١) بسبب رفضكم للخطية ومصارعتكم لرغبتكم الفاسدة فان المسيح بفمه المبارك قال (طوبى للحزانى ...)

ولا تخشوا من عدم النصرة من كثرة الحروب أو أن تبتلع كثرة حزنكم على الخطيـة سلام المسيح من قلبكم أو أن تذهب عنكم بهجة خلاص يسوع أنظروا ! إن كان المسيح قد تألم لأجل خطايانا فليس بعجيب إن شاركناه فى الآلام لأجل خطايانا ! وإن كنا نتألم معه فإننا سنتمجد بالتأكيد معه (٢) فأنت عضو فى جسده المقدس لذلك فإن انتصارك يهمه هو وحربك وآلامك يعتبرها موجهة إليه هو شخصياً فإن كنت قد سلمت الأمر له واتكلت عليه واثقاً فى قوته التى إنتصر بها هو ، فهو سيتقمصك ويعطيك النصرة ، ولأجل هذا قال له المجـــد على الصليب قد أكمل (٣) وقال أيضا (من أجل السرور الموضوع أمامه إحتمل الخزى مستهيناً بالعار . . . (٤) فتشجع يا أخى وادخل إلى أقداس الله بنعمته بحب وايمان وإتضاع وتسليم لأن فى ذلك مسرته.

والبيئة المحيطة من معطلات التوبة وأشدها أثراً كلام الناس

---

(١) ٢ كو ٧ : ١٠ (٢) رو ٨ : ١٧

(٣) يو ١٩ : ٣٠ (٤) عب ١٢ : ٢

المحيطين بنا فكثيراً ما يكون هو ذاته كلام أبليس الذى كلم أبوينا الأولين فى الجنة سابقاً على لسان الحية (١)

فاحذر يا أخى من كلام الناس عامة ومن مثبطى العزائم خاصة (٢) ولتكن لك يا أخى شخصيتك الروحية التى تؤثر فى الناس دون أن تتأثر بكلامهم .

٤ - مفهوم النصرة فى هذا العالم

لاتوجد نصرة نهائية ولا قداسة ثابتة إلا فى أورشليم السمائية التى سنستطلن فى الدهر الآتى . لكن مادمنا فى هذا الجسد المملوء بالخطية ومادمنا نعيش فى عالم يغرى بمباهجه وما دام لنا عدو يحاربنا فنحن ما زلنا عرضة للضعف والسقوط وهذا ما يكشفه لنا الكتاب المقدس فهو يقول عن الصديق (أنه يسقط فى اليوم سبع مرات ولكن الرب يقيمه) (٣) وتحديد النصرة لايكون إلا على مقدار الجهاد فما دمت تجاهد من أجل الخلاص فحتى ولو كنت مهزوماً من خطية معينة مؤقتاً فأنت فى طريق النصرة لذلك فلماذا نكسل ؟ هوذا صوت الله يتردد فى آذاننا

(١) تك ٣ : ١ (٢) عد ١٣ : ٣١

(٣) أم ٢٤ : ١٦

(أيها العبد الكسلان) (١)

٥ - التدريب الروحى

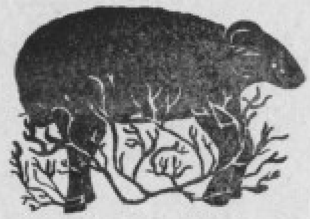
لئن كان التجديد يحدث دفعة واحدة وكذلك التوبة لكن أكتساب طبيعة جديدة أو عادات جديدة لايكون إلا بالتدريج وبالتدريب ، لذلك يقول (أدرب نفسى حتى يكون لى ضمير بلا عثرة) (٢) . والذين ينكرن قيمة التداريب فى حياتنا الروحية فانهم فى الواقع يتغافلون عن طبيعة هذا الجسد الفاسد وكم يحتاج إلى قمع وتدريب وجهاد كذلك يجهلون طبيعة النفس الإنسانية وأنها تحتاج إلى فترة للنمو والإرتقاء وأن الإنسان لايولد كاملا ، فالفضائل تكتسب بالمران والجهاد ولكن كمال الفضائل هو من عمل الله .

كذلك يحتاج التدريب إلى إرشاد ، وكل هذه الأمور تظهر جلية فى سيرة قديسنا هذ الأنبا موسى الأسود ، ليت الله يجعل سيرته بركة وسبب خلاص لنفوس كثيرين ولإلهنا المجد دائماً أبدياً آمين ؟

مدارس أحد كنيسة السيدة العذراء

فبراير - ١٩٦٣ بمحرم بك

(١) مت ٢٥ : ٢٦ (٢) فيلبى ٤ : ١١



الفصل الأول

نشأته وحياته الأولى

لايعرف على وجه التحديد فى أية منطقة نشأ القديس موسى (١) ولا الى أية قبيلة كان ينتمى ، وقيل أنه من احدى قبائل البربر ، والقليل المعروف عن طفولته وشبابه ليس فيه ما يعجب به وكان سواد لونه يمثل بالضبط الحالة السيئة التى كانت عليها روحه — ولم يكن هناك نقص ولم تكن هناك رذيلة الا ومارسها ، ولم يكن يعرف الأمانة أو الأخلاق الفاضلة .

ولد حوالى سنة ٣٣٠ م (٢) وكان عبدا لرجل فى مركز عال

(١) موسى كلمة قبطية مأخوذة من موؤ « ماء » شى « ابن » أى ابن الماء » لأنه من الماء انتشل

(٢) يؤخذ من سيرته أنه استشهد حوالى سنة ٤٠٨م وانه تنيح وعمره حوالى ٨٥ سنة أو ٧٥ سنة فيكون تاريخ ميلاده على وجه التقريب حوالى سنة ٣٣٠م وذكر مكسيموس مظلوم فى كتاب الكنز الثمين فى أخبار القديسين أنه ولد حوالى سنة ٣٤٠م.

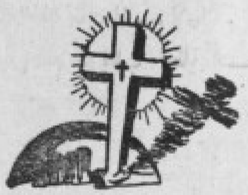
وقد يكون شيخا لقبيلة عابدة للشمس ولكن سيده طرده من خدمته لسلوكه غير المستقيم ، وصار بعدئذ سارقا وقاتلا ، ويقال أنه قتل حوالى مائة نفس ، وعاش يسلب وينهب القوافل المارة على الطرق الكبيرة وكان له بين زملائه صيت فى الوقاحة والجرأة فى السرقة والقتل حتى ان زملاءه اتخذوه رئيسا لهم بالتزكية ، وكان قــويا فى جسده يفرط فى الأكل والشرب والسكر .

أما كم من الزمن استمرت هذه الرئاسة وماهى الأعمال الشريرة الكبيرة التى كان رائدها فليس معروفا ! ولكن ذكر عنه أنه كان رئيسا لعصابة قوامها سبعون لصا ، وقيلت عنه فى السرقة قصص كثيرة ، وأبقى التاريخ لنا إحدى مغامراته وربما كانت آخرها وبعدها كانت مقابلته غير المتوقعة مع الرحمة الإلهية :

« كان واثقا فى قوة ذراعه ، لايشك أبدا فى النجاح الذى لم يخذله أبدا فى سطوته الجريئة ، فذهب موسى يوما وحده لينهب ، ورأى قطيع غنم يرعى على ضفة النيل المقابلة ، وكانت هذه فرصة جميلة لايصح تركها ، وكان الراعى عدوا لموسى الأسود فأراد ان يسرق بعض الغنم من قطيعه فأخبر أحد الأشخاص هــذا

الراعى بالأمر قائلا له (موسى قد عبر النيل عائما يحمل سيفا فى يده وملابسه فوق رأسه ، وقد عبر النهر بهذه الصورة ، فما أن علم الراعى بذلك حتى غطى نفسه بالرمال مخفيا ذاته - ولما جاء موسى ولم يجد الراعى انتقى خروفين سمينين من بين الغنم وذبحها وربطها بحبل وعبر النهر عائما بها ، وما أن وصل الى قرية صغيرة حتى سلخ الخروفين وأكل أطايبها وباع باقيها واشترى بالثمن خمرا وسكر — وبعد ذلك عاد الى رفقائه الذين كانوا يخيمون فى الصحراء . . . »

وهكذا كان موسى يسلك طريق الشر ويتزايد فيه — وقد ذكرنا ذلك لا للتشهير بموسى أو لنكشف عن قبائحه ولكن لنبين فيه جمال التوبة وقوتها حتى تكون هذه السيرة دافعة لكل النفوس التائهة فى بحار الخطايا لتتعزى وتتوب .



الفصل الثانى

حياة التوبة

فساد شديد وتجبر وأوحال وخرائب دنسة ، هذا ماتصنعه الطبيعة البشرية التى لايرجى منها شىء صالح . فلو تركنا لأنفسنا لأصبحنا أشر من هذا الرجل موسى قبل تجديده . . ولو لم يرف روح الرب على طبيعتنا الفاسدة ما كان رجاء الخليقة جـديدة (تك ١ : ١) . . .

ولكن ليس كالخطية هكذا أيضا الهبة (رو ٥ : ١٥) ، فحيثما كثرت الخطية . . . ازدادت النعمة جداً . وما ذلك الا لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء مات فى الوقت المعين لأجل الفجار . . . فبينما كنا خطاة مات المسيح لأجلنا . وهكذا مراحم الله ترجع الخطاة اليه وصلاحه يغلب خطايا التـائبين . . . فلا تعجب . . . !

إن الابن الضال لم يسرع فى الرجوع بقدر ماكانت عواطف

الأب تسرع نحوه لأنه هو الذى . . . تحنن وركض ووقع على عنقه وقبله (لوقا ١٥ : ٢٠) .

والأب هو الذى ذهب ليسعى فى طلب الضال بينما الابن غارق فى ضلاله . ونعمة الرب هى التى أنارت السراج لكى تفتش عن الدرهم المفقود الذى لايدرك ذاته . وهكذا نعمة الهنا تبحث عن خلاص الخطاة وتستعمل شتى الطرق لكى تجتذبهم اليه (انظر لوقا ١٥ : ٢٤ ، ١٥ : ٨).

فالرب هو الذى سار ست ساعات مشيا على الاقدام لكى يخلص إمرأة سامرية (يو ٤ : ٦) وهو - الذى لايشاء موت الخاطىء مثل مايرجع ويحيا وهو هو نفسه الذى عبر وأيقظ هذا الرجل من شروره ، فما ان أدركت نعمة المسيح إلهنا موسى الخاطىء الشارد المتعب حتى حملتـه على منكبيها فرحـة (لو ١٥ : ٥) .

فبرغم شرور موسى وحياته السوداء أمام الجميع الا أن الله ، الفاحص القلوب والكلى الذى لايخدع بالمظاهر يبحث عن فتيلة مدخنة فى الإنسان لكى يساعدها على الاشتعال ، وعن قصبة

مرضوضة حتى يسندها (مت ١٢ : ١٩ ، ٢٠) وجد فى موسى استعدادا ضئيلا للرجوع فجذبه الى خلاصه .

هو الله الذى يخرج من الآكل أكلا ومن الجافى حلاوة . . نظر أيضا الى عمق قلب المرأة الزانية فوجد بصيصا من الاستعداد للرجوع . . . ورغم تجمع اليهود حولها وشهادتهم ضدها عن رداءة سيرتها واستحقاقها للموت ، فأعطاها خلاصا أبديا بنعمته (يو ٨ : ٦ — ١١) وهكذا وجد فى قلب موسى استعدادا للعيشة معه فكان موسى من

لكن الله رغم وقوفه على أبواب نفوسنا يقرع الا انه لا يمكن أن يدخل إن لم يجد استعدادا طيبا فينا لقبوله . وهكذا وجد فى قلب موسى استعدادا للعيشة معه . . فكان موسى من وقت سماعه عن آباء برية شيهيت القديسين وشدة طهارة سيرتهم وجاذبيتهم العجيبة للآخرين ... يتطلع الى الشمس التى لايعرف غيرها الها ويقول لها ، أيتها الشمس إن كنت هى الإله فعرفينى ، . . . وكأنه يقول فى نفسه : أيها الإله الذى لا أعرفه عرفنى ذاتك . . . ! فكان هذا واعزاً منه الى معرفة الله والعيشة معه . . مما لايمكن معه ان يتركه الله بدون تغيير . . .

فسمع لذلك من يخبره ان رهبان وادى هبيب (برية شيهيت) يعرفون الله . . . فقام لوقته وتقلد سيفه وأتى الى البرية ربما بقصد استطلاع حياة هؤلاء الرهبان أكثر مما كان ينبغى التوبة .



الفصل الثالث

توبته

١ - عزمه على التوبة :

لما سمع موسى عن أحوال الآباء الرهبان ، ذهب يستكشف أحوالهم حاملا سيفه ووقف على باب قلاية أحد الشيوخ الرهبان وكان فى ذلك الوقت القديس ايسيذورس خارجا من قلايته ليذهب إلى البيعة كعادته فما أن نظر موسى حتى خاف منه لأن منظره كان عجيبا ومرعبا جداً.

فسأله الشيخ قائلا : « ماذا تريد يا أخى هنا ؟ ! » أجابه موسى : « قد سمعت أنك عبد الله الصالح ، ومن أجل هذا هربت وأتيت اليك لكى ما يخلصنى الإله الذى خلصك . . . وكان يطلب منه بإلحاح وخشوع قائلا : « أريد أن أكون معك ولو أنى قد صنعت خطايا كثيرة وشروراً عظيمة . . . » ! » .

فسأله قائلا : « من هو الذى أتى بك إلى هذا الموضع ؟ » »

أجاب موسى : « إن أحد المزارعين أخبرنى عن قداستك وقال لى امض إلى أنبا ايسيذورس فهو يساعدك على خلاص نفسك . . فقمت وأتيت وهو ذا أنا أمامك طالبا منك أن ترشدنى إلى خلاص نفسى . » فلا تردنى . . ولكن أخبرنى وعرفنى عن الله . . . فسأله الأب : « وماذا كان معبودك فى العالم إذن ؟ ! » أجابه : « إنى لست أعرف الله بل كنت زائغاً فى شرورى، وكان حالما تأثرت من سماعى عن رهبان الإسقيط انى تحركت لعبادة إلهى ، ولم أكن أعرف سوى الشمس إلهاً لأنى لما تطلعت اليها وجدت أنها أنارت المسكونة بضيائها والظلام يأتى بغيابها، وكذلك إلى القمر والنجوم التى فيها اسرار عجيبة ، وكذلك إلى البحر لقوته . . ! ! ولكن كل هذه جميعاً لم تشبع نفسى وعرفت أن هناك إلهاً آخر لا أعرفه أعظم من كل هذه وقلت له: «أيها الرب الإله الساكن فى السماء مهدى الخليقة كلها ، اهدنى اليك الآن وعرفنى مايرضيك . . . ولما سمعت ان رهبان وادى هبيب يعرفون الله ، لذلك أتيت اليك لتخبرنى وتسأل الله عنى حتى لايغضب على لأجل شر أعمالى ، ولايهلكنى لأجل قبائحى الغير المعدودة ، وكان يقول هذا وهو يبكى بكاء كثيرا . . (١)

(١) من مخطوطة المتحف القبطى رقم ٤٩٦

فلما رأى أنبا ايسيذورس كل هذا منه أخذه وعلمه ووعظه كثيرا بكلام الله ، وكلمه عن الدينونة وأيضا عن الخلاص ، فلما سمع موسى عن الموت والدينونة التى لا مفر منها وجهنم الأبدية وعذاباتها المرعبة . . أخذ يفكر كثيرا . . . وتركه الأب القديس فى تأملاته ومضى . . .



يالقوة العجيبة التى لكلمة الله الحية !! فكم كان تأثيرها على قلب هذا الرجل الوحشى موسى ، فكان عملها فى داخل قلبه كسيف ذى حدين ، واستكملت فاعليتها شيئا فشيئا داخل نفسه ، كما يحدث للبذور المدفونة فى داخل الأرض ، فيتركها الزارع لتنمو وتزدهر ، فكان للفزع والخوف من الدينونة تأثير قوى على نفسه

وكانت دموعه مثل الماء الساقى — وكذلك من ناحية أخرى خلاص يسوع كان يزيد انجذاب موسى نحوه ، وكان من نتائج ذلك أن إنفرد موسى عن زملائه الأشـــرار الذين كان رئيساً عليهم ، وكان الندم الحار يجتاح نفسه ويقلق نومه مثل شبـــح مخيف ، وهكذا كره حياته الشريرة وعزم على التخلص منها ! .

أخيراً كان ضمـــيره يؤنبه بأكثر قوة على ماضيه حتى أنه ما أحتمل أن يثبت أمام توبيخه ، فقام لوقته ليلقى بنفسه فى طريق التوبة . . . وذهب إلى القديس ايسيذورس ثانية .

ب — توبة واعتراف .

جاء يركع أمام قس الإسقيط ويعترف بصوت عال بعيوبه وجرائم حياته الماضية فى تواضع جزيل وبشكل يدعو إلى الشفقة ووسط دموع غزيرة . . . فأخذه القديس ايسيذورس فى الحال إلى حيث يقيم أنبا مكاريوس الكبير ، فوضعه أنبا مكاريوس تحت رعايته وأخذ يعلمه ويرشده برفق ولين ، ثم منحه صبغة المعمودية المقدسة وسلمه إلى أنبا ايسيذورس لكى يعلمه (١) .

---

(١) ذكرت المخطوطة — ٤٩٦ المتحف القبطى أن الذى عمده أيضاً هو الأب ايسيذورس .

اشتياقه إلى الرهبنة :

وبعد أيام طلب الأب موسى من القديس ايسيذورس فى خشوع أن يصيره راهبا ، فتكلم القديس ايسيذورس معه مجربا اياه لعله بعد أن يحدثه عن تعب البرية يرجع إلى الوراء وكان مما قاله له الأب ايسيذورس :

أننا فى ضيقة كثيرة من جهة محاربات الشياطين ولا تستطيع أنت أن تكون معنا ، وفى ضيقات أيضاً من جهة سد أحتياجاتنا وليس لنا راحة فى أى أمر من الأمور ، والأفضل لك يا ابنى أن تذهب إلى أرض مصر لتحيا هناك (١) .

وكان هذا الحديث مع موسى الأسود بشأن إختباره عما إذا كان لا زال له أى تعلق بسيرته الماضيـــة ، لكن بعد أن تحقق الأب ايسيذورس من صدق توبتـــه فرح به وارسله ثانية إلى القديس مكاريوس الكبير .

اعترافه العلنى .

(إن التوبة المقبولة لابد وأن تكون مصحوبة بالاعتراف أمام

(١) عن الدفنار مخطوطة ٣٥٧ بالمتحف القبطى .

كاهن الله — ولقد ضرب لنا موسى الأسود أروع الأمثلة فى أهمية الإعتراف وضرورته — وكيف أن الإعتراف يؤدى إلى تطهير حياة الإنسان ، كما لو كانت مولودة من جديد) .

إبتدأ موسى الأسود فى الإعتراف علناً فى الكنيسـة بجميع خطاياه وقبائحه الماضية ، وكان القديس ابو مقار أثناء الإعتراف يرى لوحا عليه كتابة سوداء ، وكلما إعترف موسى بخطية قديمة مسحها ملاك الله حتى إذ إنتهى من الإعتراف وجـــد اللوح أبيضاً .

أهمية المرشد الروحى .

بعد ذلك عزاه الأب مكاريوس ووعظه بكلام كثير من الكتب المقدسة وأعاده إلى القس ايسيذورس الذى ألبسه اسكيم الرهبنة ، وأوصاه قائلا : «إجلس يا إبنى فى هذه البرية ولا تغادرها لأنه فى اليوم الذى تخرج فيه منها تعود إليك كل الشرور ، لذلك أقم زمانك كله فيها وأنا أؤمن أن الله سيصنع معك رحمة ونعمة وسيسحق الشيطان تحت أقدامك ، وهكذا كان القديس موسى فى رعاية عظيمين من عظماء المرشدين المختبرين فى الرهبنة (الأبا

مكاريوس الكبير والقس ايسيذورس) ، ولذلك إذ سار تحت طاعة الإرشاد الحقيقى أستقرت قدماه على صخرة التوبة ، والحق يقال أن هذين المرشدين العظيمين قد بالغا فى الاهتمام به عملا بقول السيد المسيح : « ماجئت لأدعو أبراراً بل خطـاة إلى التوبة » مت ٩ : ١٣ .



الفصل الرابع

حياته الرهبانية

« ياللعجب من يقدر أن ينطق بأعمال الله الغنى بالمراحم فى التوبة وعن عظم خلاصه وعن جمال الحياة الجديدة التى يهبها الله للراجعين إليه ، فأى لسان وأى منطق يستطيعان أن يتكلما عن هذه الحياة !! ، ولكنها تتضح جلياً فى قصة حياة هذا الرجل موسى ، فالذى كان زعيما لعصابة لصوص صار الآن راهباً ثم رئيساً لجوقة ملائكية من الرهبان ؟ ! . »

بعد أن سمع موسى لكلام ايسيذورس سكن مع الإخوة الرهبان — وقيل أنهم كانوا يفزعون منه فى بادىء الأمر لأنه كان فى حياته الماضية ، رعب المنطقة ، ولكنهم لم يلبثوا أن رأوا فيه مثال الاتضاع والجهاد الروحى والنظام ، فكان فى أعترافه يركع أمام القس ايسيذورس وتنسكب نفسه فى اتضاع عجيب ودموع غزيرة ، وكان هذا المنظر مفاجأة بالحقيقة لسكان المنطقة .

بعد زمان ليس بطويل ذهب موسى إلى القديس مكاريوس شاكياً له من القلق الذى يصيبه من كثرة الزائرين له ، فأشار عليه القديس لمعرفته باستعداده للفضائل، أن يبتعد من ذلك المكان الى قلاية منفردة فى القفر هناك فى كوخ وحده فى جهة تدعى « بترا » . وللحال أطاع القديس موسى وانفرد فى قلايته وعاش فى وحدته مثابرا على الجهاد الروحى وتزايد فيه جدا ، وربما كان ذلك كرد فعل لحياته الفاسقة الأولى ، فكان مندفعاً فى الصوم والصلاة والتأمل والندم ، ولكن الشيطان — خزاه الله — لم يحتمل فعل القديس هذا فابتدأ يقاومه بكل قوته (١)

---

(١) ان الشيطان دائما يقاتل الانسان بشدة بعد نواله أية نعمة جديدة فهو الذى تقدم لمحاربة السيد المسيح بعد العماد ، هو أيضا تقدم لمحاربة موسى الأسود بعد نواله نعمة المعمودية الجديدة ، وبمجرد رسامته راهبا قويت الحروب عليه لدرجة مخيفة ، وهذا هو الحال فى كل زمان ومع كل إنسان يرغب فى العيشة الجديدة والرجوع عن حياة الشر — وبالأكثر الذين يتقدمون لأخذ الرتب الكهنوتية ، — أما أنت أيها الأخ فاحذر عند نوالك لأية نعمة جديدة أو رتبة سيما رتب الكهنوت حتى الشماسية ، واعلم أنك بمجرد نوال أحدى هذه الرتب سوف تتعرض لحروب مضاعفة من عدو الخير ، فتحتاج عندئذ لاتضاع أكثر أمام الله وثقة فى قوته ومداومة على طلب معونته لك .

الفصل الخامس

جهاده ونصرته

١ - تدريب الصوم والصلاة

ينادى البعض بمبدأ خطير فى حياة التوبة ، وهو أن مجرد التوبة والندم كاف للحصول على بركات الخلاص والحياة مع المسيح ولكن هكذا علمنا آباء الكنيسة أن التوبة لابد أن تكون مصحوبة بجهاد مستمر لكى تظهر وتزدهر ثمارها . وتوبة بلا ثمار لافائدة منها ، وليس هناك ثمار بدون جهاد .

والذين يدعون بأن التجديد يحدث مرة واحدة يتناسون أن التجديد والتوبة عملية مستمرة فى حياة المؤمن ، إذ هى شركة الموت والقيامة مع المسيح . لأن « إنساننا الداخل يتجدد يوماً فيوماً . » (٢كو ١٦:٤) .

وتوبة موسى الأسود تعطينا طريقة عملية للتوبة والثمر المستمر فيها .

بينما كان القديس موسى مداوماً على الصوم والصلاة والتأمل

إذ بشيطان الخطية يعيد إلى ذاكرته العادات المرذولة القديمة ويزينها له بعد أن إستنارت روحه وعاد إلى معرفة الله ، ولا عجب إذ كان الشيطان الذى كان يغريه على إرتكاب الآثام منذ صباه يقف أمامه فى صورة مرئية مخيفة للغاية يطـــالب عدة مرات بفريسته القديمة ، وكانت المحاربات هكذا قوية وشديدة جداً إذ كان عدو الخير يدبر له إنتقاماً مريعاً ، وكانت العادات الشريرة والطبيعة الرديئة التى كانت لاتزال حتى الآن تثور عليه لدرجة أنه كان وشيك السقوط فى اليأس والرجوع إلى الخطية ثانية (١) .

ولما إشتدت عليه وطأة الأفكار الشريرة مضى إلى القديس ايسيذورس وأخبره بحرب الجســـد الثائرة ضـــده فعزاه قائلا ، لاتحزن هكذا وأنت مازلت فى بدء الصعوبات ولمدة

(١) العادات القديمة إذا كانت متأصلة فينا ولها زمان طويل فإنها تحتاج إلى فترة طويلة للثبات فى التوبة وعدم الرجوع الى تلك العادات ، واكتساب عادات أخرى – وهى تحتاج إلى جهاد وصبر ، لذلك نجد القديس ايسيذورس ينصح موسى الأسود بمداومة الصوم والصلاة ويشجعه على ذلك مـدة طويلة .

ولما كان التخلص من العادات الشريرة أمراً تزيد صعوبته كلما طال الزمن ، لذلك وجب الا نطيل زمان ثباتنا فى الخطية بل نسرع إلى الأعتراف والتوبة – فلا نؤخر الإعتراف ولانؤجل التوبة .

طويلة سوف تأتى رياح التجارب وتقلق روحك فلا تخاف ولا تجزع » – وضرب له مثلا لكى يبين له خطورة اتباع هوى الجسد فقال له إن الكلب المتعود على أن يحوم حول ملحمة الجزار لا تضيع منه هذه العادة فى يوم واحد ، ولكنه إذا وجد المحل مغلقاً زماناً طويلا أو أن أحداً لايلقى له بالعظام ، فإنه فى جنونه من الجوع يجرى ليبحث عن طعام آخر ولا يعود للملحمة .

وأنت إذا ثابرت على الصوم والسهر واحتقار أباطيل هذا الدهر سوف تنتصر على شهوات الجسد لأنه لا يستطيع تحمل هذا الأسلوب من الحياة ، وسوف يهدأ هذا الجسد الثائر عليك ولا يعود يطلب شهواته القديمة . فموسى قد أستفاد من كلام القديس ايسيذورس ورجع إلى قلايته منفرداً وممارساً أنواعاً كثيرة من أماتة الجسد ، ولم يكن يتناول سوى القليل من الخبز مرة واحدة فقط فى اليوم كله مثابراً على الصلوات وعمل اليدين .



٢ - الصبر فى القتال وعدم الملل

ذهب القديس موسى يتحدث إلى أنبا ايسيذورس ثانية عن الصراع المخيف الذى كان ينتابه وقال له : « يا أبى ماذا أعمل ؟ والأحلام الشريرة تظلم ذهنى وبالرغم عنى أشعر ببعض اللذة ، وأحياناً أخرى تستيقظ فى كل الميول الشريرة وخاصة بالليل بل وتحضر لذهنى كل صور الحفلات الصاخبة التى كنت أحضرها فى شبابى الماجن ، بل وكل الأحاسيس التى كانت فى أيام الخطية » . أما الشيخ فأجابه : « إن ذلك يحدث لك من قبل كونك لاتهرب من تصوراتك فواظب على السهر مصلياً مرات كثيرة بحرارة ، قاتل الخيال وتحكم فى حواسك باليقظة والاعتدال المتواصل (بقصد تنظيم الأمور الروحية المختلفة بحيث لا تطغى إحداها على الأخرى) ، واؤكد لك أن الشيطان سوف ينخذل وسوف تتغلب على طبيعتك الثائرة » ، فتقويت عزيمة موسى وبقى ست سنوات فى مكان عزلته دون أن يخرج منه تقريباً ، وكان يقضى الليل واقفاً يصلى دون أن يريح نفسه ، ولكنه مالبث أن رجع إلى الأب ايسيذورس وأعلمه بأن الحروب إشتدت عليه بالأكثر وشكا له سوء حاله ، وهذا لما علم بوحى من السماء بما به من صراع

وجزع قال له « إرجع إلى قلايتك » (١) - ولكن الأب موسى قال له لا استطيع يا معلم أبداً ، فصعد به إلى سطح الكنيسة وقال له أنظر إلى الغرب ماذا ترى ياموسى فقال أرى جمعاً من الشياطين يتحفزون للحرب والقتال ، ثم قال له عندئذ أنظر إلى الشرق فنظر وإذا ملائكة كثيرون يمجدون الله فقال له : « أما الذين رأيتهم فى الغرب فهم الأرواح الجهنمية ومن رسالتها أن تهاجم قديسى الله وهم يحاربوننا » - ولكن الله يدافع عن قديسيه فلا يجرب أحداً أكثر من طاقته ، وأولئك الذين رأيتهم فى الشرق هم معاونونا ، فكن قوياً إذن فى الكفاح مادامت ملائكة الله تحارب عنا وسوف يأتى يوم تتخلص فيه نهائياً من هجمات العدو - أما أنبا موسى فرجع متعزياً فرحاً مسبحاً الله .

وحدث أنه قصد مرة أحد الشيوخ المختبرين وسأله : « هل

---

(١) هذا التدريب لا يعطى إلا للذين إختبروا حياة الجهاد ، والنفوس التى تعودت على محاربة الأفكار فيكون لهم هذا التدريب فرصة لجهاد أكثر يكون لهم سبب إكليل ، ولكن لا يصلح هذا التدريب لكل شخص لئلا تقوى عليه حروب الأفكار فيسقط ، وهذا ما يحدث كثيراً لبعض الأشخاص . فلذلك نورد هنا تدريباً آخر معادلا لهذا التدريب وهو أن يهرب — تجاه حروب الأفكار — من مكان الخطية لأن ذلك أسلم .

يمكن أن يتجدد الإنسان كل يوم ؟ ، فأجابه الشيخ بأن ذلك ممكن إذا كان هوذا عزيمة صادقة ورغبة أكيدة فى أن يفعل إرادة الله .

٣ – راحة الجسم بقدر

ذهب موسى إلى أحد السواح المتقدمين جداً (١) فى العمل المختبرين الفضائل (وأغلب الظن أنه كان القديس مكاريوس الكبير) وشرح له أسباب سجسه ، وأما ذلك الشيخ فأجابه بأن ذلك يحدث له من جراء تركه العنان لجسده وإراحته لأن من ذلك تأتيه التصورات والأفكار ، ونصحه بأن يسهر بالأكثر مصلياً مرات كثيرة بحرارة ، فموسى إذ سمع هذا واظب على السهر (٢) حتى أنه كان يجتز أياماً عديدة واقفاً طول الليل وعيناه مفتوحتان

(١) من الممكن أن نستشير أحد المرشدين الروحيين لثق به ممن يكونون على جانب كبير من الخبرة الروحية ، وذلك إلى جانب أب الإعتراف .

(٢) المقصود بالسهر هنا أن يسهر الراهب فى عمله الذى هو الصلاة والتأمل والقراءة ، ويمكن أن يكون السهر لنا فى أعمالنا أيضاً إلى جانب بعض فترات للصلاة وقراءة الكتب المقدسة ، حتى لا نعطى فرصة لتراخى أجسادنا بالكسل والملل .

من غير رقاد ، ودون أن يجلس على الأرض لكى لا تأخذه إغتصاباً قوة النوم ، وكان يواظب على الصلوات والأصوام ، وكان لا يأكل فى اليوم إلا قليلا من الخبز اليابس ، وكان يضرب ثلثمائة مطانية (سجدات) يومياً ، وكانت له أتعاب أخرى ... ، وهكذا لم يكن له أى وقت لإراحة جسده حتى أن قوى جسده الوحشية أنتزعت عنه وبهذه الطريقة ملك زمام نفسه (١) .

٤ – خدمة الآخرين والهرب من الفراغ

كانت المياه يصعب إحضارها إلى قلالى الشيوخ التى كانت تبعد عن موارد المياه ، وكان يلزم أن يسيروا مسافة كبيرة

(١) أيهما أفضل للانسان : أن ينام بعد كد وتعب نوماً هادئاً بدون قلق أو أن يطيل مدة نومه فيتخللها ساعات الأرق والقلق التى يستخدمها عدو الخير فى الخيالات والهواجس الشيطانية والأحلام المزعجة ؟ ! – وذلك ينطبق أيضاً على من يمضى إلى فراشه مبكراً عن ساعة نومه فيأتيه شيطان الوسادة (على حد قول القديس يوحنا ذهبى الفم) – ولذا فإن أفضل طريقة هى تنظيم مدة النوم ، وذلك لأن هناك خداعات للجسد ، فقد لا نكون متعبين ولكن يتهيأ لنا أننا فى شدة التعب فى أثناء فترات من الهم لنا فيها أن نشعر كما يحدث أحيانا عندما نريد الصلاة فإذ بنا نحس مباشرة بثقل النوم !

لإحضار الماء ، فاستغل موسى الأسود هذه الفرصة وأخذ يدرب نفسه على أعمال تقشفية ، فكان يخرج بالليل يطوف بقلالي الشيوخ ويأخذ جرارهم ويملأها بالماء ، وهكذا كان يقضي أغلب أوقات الليل هارباً من قتالات إبليس . فلما رأى الشيطان هذا العمل لم يحتمله فتركه إلى أن أتى في بعض الأيام إلى البئر ليملأ قليلا من الماء وضربه ضرباً موجعاً حطم عظامه حتى وقع على الأرض مثل الميت ولم يقدر على الحركة إلى أن جاء بعض الإخوة ناحية البئر وحملوه ومضوا به إلى البيعة عند الأب ايسيذورس واعلموه بذلك ، فلما رآه الشيخ علم أن الشيطان قد صنع به هكذا لكونه لم يمل إلى هواه الفاسد ، فأقام القديس بالبيعة نحو ثلاثة أيام ثم رجعت روحه إليه (١).

---

(١) كان سبب غيظ الشياطين منه هو إنتصاره عليهم ، ولعلك تتعجب كيف يكون هذا أنتصاراً رغم وجود بعض السقطات ؟ ! — نعم إن إجتهاد موسى في النصرة وسعيه ورائها وجهاده المتواصل في سبيلها وبذله كل ما في وسعه ، كل هذا يعتبر له نصرة ولو لم تكن له نصرة كاملة ، ولكنه بهذا يبرهن على أنه في طريق النصرة فتشجع يا أخي إن كنت تجاهد ضد خطية معينة ومازلت مهزوماً منها ، واعلم أنك مادمت تجاهد ضدها وتحاربها وترفضها فأنت في طريق النصرة ولك إكليل جهاد .

٥ — حياة التوبة تدفع الآخرين للتوبة

منذ أن وطأت قدما موسى برية شيهيت ترك عوائده الرديئة تماما وكره شروره الأولى ، ولم يكتف بهذا فقط بل كان من ناحية أخرى يمارس الفضائل الصالحة والاعمال الجيدة (١) . . . فإن هذه الاعمال إن تركزت في النفس أكسبتها عادات جيدة وتحل هذه العادات محل العادات الرديئة القديمة ، وهكذا كان موسى الاسود لم يزل مجاهدا ومكتسبا فضائل جديدة .

وحدث مرة أن خرج ليمضي الى البيعة ليلا وبينما هو راجع الى قلايته وجد أربعة لصوص قياما خارجين منها ، ولما دخل وجد أنهم سرقوا كل مافيها ، فلما أرادوا المضي تقدم نحوهم بسرعة ولم تكن قوته الخارقة قد تركته نتيجة للتقشفات الكثيرة التي كان يقوم بها ، وربطهم جميعا بحبل واحد كحزمة حطب وحملهم على كتفه وأدخلهم الى البيعة والقاهم أرضا أمام الشيوخ القديسين وقال لهم باركوا علي — هوذا هؤلاء الاشخاص الذين سطوا على قلايتي وسرقوها ، ومن حيث أنه لايجوز لي أن أصنع شرا مع أحد

---

(١) ينبغي لنا إن كنا نسير في طريق التوبة أن يكون لنا أثمار التوبة (إصنعوا أثماراً تليق بالتوبة) مت ٣ : ٨ .

فلا تكفي أن نقاوم الخطية فقط بل أن نعمل أعمال البر .

مطلقا فقد أتيت بهم اليكم لتفعلوا بهم ما تشاءون ، فتعجب اللصوص جدا من هذا الرجل وسألوا الرهبان من هذا الرجل العجيب ؟! فقالوا لهم هذا هو موسى الاسود زعيم اللصوص . فلما سمعوا هذا الكلام سجدوا جميعهم على الارض معترفين بخطاياهم وتائبين عنها ، وكانوا مرتعبين جدا امام موسى هذا رئيسهم السابق ، وكان كل منهم يبكت نفسه تارة وتارة أخرى يحثها قائلا : لماذا لا أصنع مثل موسى هذا الذى يعيش الآن بحرارة وقوة وسلام مع الله بعد حياة الفجور الاولى لكى أخلص أنا أيضا ؟ ، أخيرا رذلوا سيرتهم الماضية ورجعوا متمسكين بالتوبة وطلبوا أن يصيروا جميعهم رهبانا ، فأخذ أنبا موسى يعظهم بكلمات قوية حركت قلوبهم جميعا وأتت بالثمار المطلوبة .

٦ — الانسحاق أمام الله

وعدم الاتكال على قوتنا

إن الأب موسى — إذ تزايد جدا فى نسكه وفى مقاتلته لذاته لدرجة كبيرة لكن رغم هـــذه الإماتات والسهر وقهر الذات — لم يمكنه أن يلاشى من مخيلته تلك الأشباح الدنسة

بل كانت تزداد كلما ازداد هو فى محاربتها ، وربما كانت زيادة تقشفاته هذه بدون إذن من مرشده الروحى ، لأنه لما ذهب اليه يشكو حاله قال له « يبغى عليك الاعتدال فى كل شىء حتى فى أعمال الحياة النسكية ، كما قال له أيضاً « يا ولدى كف عن محاربة الشياطين لأن الإنسان له حد فى قوته ، ولكن إذا لم يرحمك الله ويعطيك الغلبة عليهم هو وحده فما تقدر عليهم أبدا ، امض الآن وسلم أمرك لله وانسحق أمامه وداوم على الاتضاع وانسحاق النفس فإذا نظر الله إلى صبرك واتضاعك فإنه يرحمك فأجاب موســـــى وقال : « انى اثق فى الله الذى وضعت فيه كل رجائى ان اكون دائما متسلحا ضد الشياطين ولا ابطل اثارة الحرب ضدهم حتى يرحلوا عنى ، فلما رأى القديس ايسيذورس منه هذا الايمان حينئذ قال له : وأنا اؤمن أيضـــاً بسيدى يسوع المسيح . . . « باسم يسوع المسيح من هذا الوقت فصاعدا سوف تبطل الشياطين قتالها عنك » وقال له : امض إلى البيعة المقدسة وتناول من الأسرار الإلهية .

٧ — التناول من جسد المسيح ودمه .

إن القديس موسى فى الابتداء كان يجهل قواعد الحياة

النسكية ولأنه كان ممتلئا صحة كان يعمل أعمالا كثيرة وكان يساعده على ذلك قوة جسده ، وكان يظن أنه بكثرة أعماله وحدها يستطيع قهر الشياطين الذين إذ عرفوا غرضه (١) كانوا ينقضون عليه بأكثر قوة بحروب متتالية سرا وجهرا ، ولكن الأب ايسيذورس أراد أن يعرفه الطريق الصحيح ونصحه كمرشد محتبر أن يتضع وقال له « بدون قوة الروح القدس الذى أعطانا الله اياها والتى تتقوى فينا كل يوم بالتناول من الجسد والدم الأقدسين لن تتخلص من الخطايا ولن نستطيع أن نقهر الشياطين وبالتالى لن نستطيع أن ننمو فى الفضيلة » .

عند ذلك تعلم موسى هذه الأمور واتضحت أفكاره وتناول من الأسرار المقدسة ، واستمر شهرين يصنع كقول الشيخ مواظبا على ذلك فأعطاه الله نعمة عظيمة وتواضعاً وسكونا فانحلت عنه قوة الأفكار ، ومن ذلك الوقت فصاعدا عاش الأب موسى فى

---

(١) أى أن الشياطين عرفوا افكاره ولمسوا نقط الضعف التى فيه وهى أنه كلما حاربوه كلما ازداد ثقة بنفسه واتكالا على قوته وبالتالى بعدا عن الله — لأن الله ينظر إلى المنسحقين ، لكن الكثيرين يندفعون فى طريق إذلال الجسد ، دون إرشاد ، معتمدين على فهمهم منساقين فى هذا التيار فيسقطون بكبريائهم فى تعييرات وفخ أبليس .

سلام وازداد حكمة .

٨ — المداومة على الاعتراف والارشاد .

وبعد انتضاء الشهرين ذهب أنبا ايسيذورس ليتفقد الأب موسى وسأله عن أحواله فأجاب أنبا موسى وقال له « شكرا لله بصلواتك يا أبى القديس فإنى لم أعد أرى شيئا ضارا ومن الآن لن أخاف من الشياطين ، لأنى اتكلت على قوة الله التى تسحق قوتهم ، وقد صاروا عندى مثل الذباب الطائر — فقال له أنبا ايسيذورس : « ان الله قد وهبك نعمة خصوصية بتركه اياك فى كل هذه المدة الماضية مثقلا بالحروب القاسية لكى لا يعتريك روح الكبرياء لئلا تنسى بانتصاراتك قوة الله وتنسبها لنفسك ، وذلك لعظم الاماتات التى كنت تمارسها ، ولكن الآن داوم على الاتضاع وانسحاق النفس والسيد المسيح نفسه ينصرك » ، ولما قال هذا شكر الله وباركه ومضى إلى قلايته .

٩ — الانتصار على الشهوات والطهارة الحقيقية

إن القتال ضد الشهوات والاحتفاظ بالطهارة أطول من

القتال ضد أية خطية أخرى وبصعوبة يكون الانتصار الكامل عليها لأن حرب الشهوة تلتهب فينا منذ سن البلوغ ، ولا تنطفىء حتى يقمع الإنسان كل الرذائل الاخرى ، وفى الحقيقة تأتى هذه الحرب من ناحيتين ، فهى تستمد قوتها من جسدنا نفسه وأيضاً من الافكار ، لهذا وجب أن تكون مقاومتها مزدوجة أيضاً ، فبالصوم والصلاة والتعب والسهر نقهر الجسد ونملك زمامه ولكن هذا لا يكفى وحده لاننا نحتاج أن نسبق ذلك بمحاربة الافكار ، وهذا لا يكون إلا بالهرب من الفراغ وانسحاق القلب وعدم الاتكال على نفوسنا وثقتنا فى الله والصبر وطول الروح وتقوية الرجاء ومؤازرة نعمة الله لنا والتناول من جسد المسيح ودمه ، كما أننا لا بد أن نستعين بمرشد روحى يقظ ومختبر لان وسائط النعمة موجودة وقد وهبها الله لكل الذين يطلبونها لكننا قد لا نعرف كيف نطلبها فى أوانها كما قد لا نعرف كيف نستخدمها . كما أننا من جهة أخرى محتاجون إلى خبرات السابقين لئلا نفهم أنفسنا خطأ ، وهنا تظهر أهمية المرشد الروحى الذى علينا أن نثق به وأن ننفذ أوامره وأرشاداته بتدقيق واجتهاد .

١٠ — الانتقال الى مرحلة
الجهاد فى الفضائل

تشمل حياة المسيحى المؤمن المجاهد عدة فترات ينتقل فيها من فترة إلى فترة ، وتبدأ هذه الفترات بمرحلة الإيمان. وفيها يعرف الله ويكشف له الله فيها جمال محبته ولذة المعيشة معه فتكون هذه الفترة بمثابة عمل النعمة فى افتقادها لهذا الإنسان — ولكن هذه الفترة لا تستمر طويلا مع المؤمن لأن الله يريد أن يرقيه من مرحلة الطفولة الروحية إلى مرحلة (الشباب) أى الجهاد الروحى ، وفيها يتعرض أى انسان مؤمن لحروب روحية متعددة حسب طاقته الروحية ، وقد تتركه النعمة الإلهية إلى حين ليختبر ضعفه الشخصى ولكى يختبر قوة الخلاص التى يهبها الله له — وقد تطول هذه الفترة وقد تقصر ، — والذين أضعفوا أجسادهم بالصوم والإذلال يؤهلون لأن ينتقلوا من المرحلة السلبية إلى المرحلة الإيجابية :

(ونقصد بها هنا اقتناء الفضائل) ـ فلئن كانت المرحلة السابقة مرحلة حروب ترد على الانسان من الخارج ومن الداخل الا أن هذه المرحلة الاخيرة يجاهد فيها الانسان ضد ذاته لكى

يكتسب فضائل ليست فيه . هذه الفترة هي فترة النمو في الكمال المسيحي المطلوبة من كل مسيحي والتي تكلم عنها السيد المسيح في عظته على الجبل . وفي هذه الفترة أيضا لا يستطيع الانسان أن يقتني الفضائل إلا بعمل النعمة ـ فتكون الفضائل كإكليل تكلل به النعمة جهاده .

وفي كلتا المرحلتين يحتاج المؤمن إلى أن يلتزم إرشادات المرشد الروحي ولا يقلد من ذاته كبار القديسين .

يقول القديس يوحنا الدرجي « من لا يريد أن يدخل من باب الإتضاع (١) فما يجد المرعى الإلهي ـ ومن يريد أن يدخل من غيره فهو لص ، فالإتضاع أساس الفضائل . . . » .

وهكذا لم يستطع موسى أن يرتقي في سلم الفضائل إلا بعد أن وضع التواضع أساساً لها .

---

(١) يوجد فارق كبير بين الإتضاع وصغر النفس ، فالإتضاع هو معرفة الانسان بقيمة ذاته وكم هو محتاج إلى معونة الله — ولكن صغر النفس يقف عند الدرجة الأولى وهي معرفة الانسان لذاته فقط ومعرفة ضعفاته وشعوره بقوة أعدائه الروحيين ، ولكن من ناحية أخرى لا يرى قوة الله وخلاصه ومعونته فيستغل عدو الخير هذا الشعور لكي يسقطه في اليأس والحزن المفسد وقلة الحيلة .

الفصل السادس

موسى القس

. . .

مقدمة

« رتبة القسيسية ليست رتبة تعطى لجميع الناس ولا حتى لأولئك الذين وصلوا إلى درجات روحية عالية ، لأنها ليست رتبة لنفس الشخص أى موهبة تعطى له ذاتيا بقدر ما تعطى له لأجل الكنيسة عامة ، فينبغى ان يكون أولا مؤهلا لهذه العطية ويقصد بذلك أن تكون له مواهب خاصة مثل القدرة على التعليم والإرشاد وسعة الصدر وطول الروح . . . هذا بخلاف حياته الروحية الخاصة إذ يجب أن يكون قد اختبر النصرة على الخطية، ويجب ايضا أن يكون قد اختبر اكتساب الفضائل والا فكيف يكون معلما لهذه كلها ؟ !

يقول القديس أثناسيوس الرسول فى خطاب له مخاطبا الأساقفة والقسوس : (١) . . . إن فى آخر الزمان يحيد أناس كثيرون عن الأمانة المستقيمة من أجل مجد الناس ومحبة الرئاسة ومن أجل الأكل والشرب ومحبة المال . . . حادوا

(١) عن مخطوطة بمكتبة دير القديس أنبا انطونيوس تحت عنوان مقالة تعاليم اثناسيوس الرسول .

عن الايمان وصاروا غرباء عن الثالوث الاقدس فالآن ايها الاساقفة والقسوس والشمامسة علموا شعبكم بمخافة الله وعظوهم من الكتب المقدسة لأنكم انتم الذين ستعطون عنهم جوابا يوم الدين أمام الله . . . أنظروا ماحل بالكهنة المتوانين عن تعليم الشعب وما نزل عليهم من الهلاك . . . كيف ضرب الله بنى هرون وقتلهم على المذبح المقدس من أجل الخطايا التى عملوها فى بيته ، لم يرحمهم ولاشفق عليهم من أجل موسى ولا من أجل هرون أبيهم ، فإن كان الله لم يشفق عليهم من أجل آبائهم الصديقين فكيف يشفق علينا نحن كهنة الكمال الذين نقسم جسده بأيدينا ونهرق دمه فى الكأس ونعطيه للشعب ، ليس بخيال بل بحق . . . أقول لكم أنا ابوكم اثناسيوس انه لولا تحنن الله الكثير الرحمة لكنتم تجدون قسوسا كثيرين وشمامسة مطروحين حول المذبح موتى . . .

وانه الويل الويل ثم الويل لمن يعمل أعمال الرب بتوان لاسيما الكهنة . . . ألم تعلم أيها الكاهن أن الكاهن والراهب بسببها يأتى غضب الله على العالم ، ان كنت لاتستطيع ان تصنع وصية الكهنوت فمن الذى الزمك ان تحمل هذا الثقل على نفسك ، هوذا صنائع كثيرة فى العالم فلماذا لا تشتغل بواحدة منها لتعيش بها كيف وأنت لاتستطيع أن تقف أمام ملك العالم وعليك ثياب

وحة . . . كيف وأنت دنس الجسد والنفس والأفكار الرديئة والبغض والحسد . . . تقف على مذبح الله ! ؟ . . . ان عندى حزنا عظيما من أجل ما قد كشفه الله لى وما سيكون فى آخر الزمان فإن الكهنة يميلون إلى جميع الناس ويصنعون خطايا عظيمة ، ويكون الأساقفة محبين للفضة مبغضين للمساكين ولا يقدروا أن يقطعوا بكلام الحق من أجل الرشوة التى أعمت عيونهم والقسوس فى ذلك الزمان والشمامسة يكونون محبين الأكل والشرب والأرباح الدنيوية مستكبرين . . .

فانظر إلى خطورة مسئولية الكهنوت حتى لاتنتهى هذه الخدمة ناسين واجباتها وشروطها . . . فهل أنت (بلا لوم) حتى تتقدم للكهنوت ؟ ! !

أرجو أن تتصفح وصية الكاهن التى تتلى عليه عند نهاية تكريسه وهى (١) :

. . وأعرف قدر هذه النعمة التى نلتها ، والموهبة التامة التى اعطيتها . من الآن انك قد صرت بها مستحقا لمخاطبة الرب، شفيعا فى مقادسه ومحل غفرانه على الشعب ، فاعمل لا للطعام الفانى بل

(١) عن كتاب الرسامات طبعة ١٩٥٩ ص ٩٨ وما بعدها

للطعام الباقى الى الابد ، لاتتوانى عن اقتناء الفضائل الروحانية مادام الروح فى الجسد ، لتنمو فى الأعمال المرضية ، فيشرق مصباح ذاتك بأنوارها المضيئة وكن مثالا صالحا فى القول والسيرة وأهرب من محبة الفضة التى هى أصل كل الأعمال الشريرة واحذر من الشبع والسكر فإنهما يظلمان العقول المنيرة وتجنب الحسد والشقاق والمقاومة والقساوة ، والهزء والكبرياء ، وأبعد عن النميمة والوقيعة والافتخار الردىء والمحاباة والرياء ، واحذر ان تكون ذا لسانين ولا وجهين ، أو تشهد شهادة فيها ريب ، فإنه مكتوب يجب أن يكون القسيس ولا يوجد فيه عيب ، وأياك أن تسرع يدك الى الضرب ، بل حب الله وجميع الخلق من كل النفس والقلب، وأشتمل بفضائل التقوى والرحمة والعفة والتواضع والقناعة وانسحاق القلب والاحتمال والصبر والوداعة ، ولاتحد عن الايمان الصحيح بربنا ومخلصنا يسوع المسيح ، الذى هو أساس الدين ، وبه يتم الخلاص لسائر المسيحيين ، واستضىء بالمطالعة مواظبا على القراءة والتعلم بمعانى الكتب البيعية والتدرب بالعلوم الدينية والقوانين الشرعية ، وعامل شعب الله بالرأفة والحذق وسسهم بلين المسيح والسهولة والرفق ، وسر فى مناهج هذه الآداب لتصل بها إلى مساكن الابرار فايزا من اليم العذاب

وأوصيك الوصية الكبرى الضرورية التى هى أصل قيام الشريعة المسيحية وأن تحب الجميع محبة قلبية باخلاص الضمير وشهادة النية ،

هكذا نجد أنبا موسى القوى تمكنت فيه هذه الصفات جميعـــا فكان قد اشتهر بسرعة فى الاستيقاظ وفى نزيها ، وكان أيضا يأتى اليه زوار كثيرون وكان الكرم والبشاشة ومحبة ضيافة الغرباء هى العلامات المميزة فى طبعه . ونسوق مثلا يوضح مدى إكرامه لضيوفه وهو أنه حضر لديه بعض الإخوة الغرباء أثناء اسبوع الآلام وبالرغم من صومه فقد أعد لهم بعض الأطعمة معطيا الأولوية قبل كل شيء لواجبات الضيافة حتى ان جيرانه اعترضوا على ذلك فى أيام الصوم وأما هو فكان راضيا عن ذلك (١)

ومن ناحية أخرى منح الله موسى نعمة طرد الشياطين بقوة

أن إضافة الغرباء كوصية ربما كان لها تأثير على القديس مماثل لتأثير الصوم على من هم فى المرحلة الاولى من حياتهم الروحية ، وهذا يتضح من بقية القصة السابقة حيث أن الرهبان المجاورين لانبا موسى عتبوا من تصرفه وعزموا على تأنيبه أمام الجميع فى الوقت المناسب قائلين يا أب موسى الله صنعت طبيخا فى أسبوع الالام ، . ولكن فى الحقيقة كان لتصرفه بعد أن اتضح امام الجميع معنى آخر حتى أنهم اعترفوا جميعا قائلين : لقد عصيت أوامر الناس لكنك حفظت وصية الله بما يدعو للعجب .

الله ، فكانت الشياطين مثل الذباب تطير من أمامه .

وأيضا كان محبوبا جدا من اخوانه الرهبان حتى أنهم طلبوا ترشيحه لدرجة الكهنوت . . .

وعندما أراد البطريرك أن يمتحنه قبل رسامته قسا أمر الكهنة أن يطردوه بمجرد دخوله الهيكل وهم يقولون له أخرج من هنا يا أسود اللون ، ثم أن البطريرك أرسل وراءه شماسا ليسمع ما يناجى به نفسه فسمعه يقول لنفسه : « لقد فعلوا بك ما تستحق لأنك لست إنسانا وقد تجرأت على مخالطة الناس ، وحيث أنك اسود اللون فلماذا تجلس معهم . . . »

وهكذا نجد أن شروط اختيار موسى للقسيسية كانت كاملة ، وقد كللت كل هذه الشروط بشهادة أب اعترافه (الأنبـــا ايسيذورس) الذى أخذه الى مدينة الاسكندرية وكان ذلك بدافع روحى وقدمه الى الأب البطريرك ثيؤفيلس ، وهنـاك رسم قسا باستحقاق حتى أنهم لما دخـــلوا به أمام المذبح وهم البطريرك بوضع اليد عليه وتكريسه أن صوتا أتى من أعلى قائلا مستحق . مستحق . مستحق (١) .

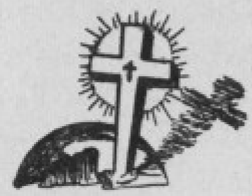
---

(١) من مخطوطة المتحف القبطى .

وقيل له بعد أن لبس ثياب الخدمة البيضاء ، ها قد صرت كلك أبيضا ياموسى ، أما هو فأجاب فى اتضاع وقال : « ليت هذا يكون من الداخل كما من الخارج » .

وهكذا تحول السكين الملوث بالدماء الى عصا الرعـــاية الكريمة .

• • •



الفصل السابع

نموه في الفضائل

قال بعض الإخوة لأحد الشيوخ ، حدث مرة أن أهان بعض الاخوة الأنبا موسى وسأله بعض الإخوة ألم يكن قلبك مضطربا لما أهنت فأجاب وقال لهم : « ولو أنى كنت مضطربا لكنى لم أقل شيئا » . وسألوه ما معنى القول أنه ولو أنه كان مضطربا لكنه لم يقل شيئا ، أجاب الشيخ : أن كل الرهبان يكون فى ناحيتين ، الأولى عدم حساسية حواس الجسد والثانية عـــدم حساسية حواس النفس ، وأن عدم حساسية حواس الجسد تكون عندما يحتمل الإنسان الاهانة لأجل السيد المسيح فلا يتكلم ـ ولو أنه قد يكون قلقا ـ ولكن عدم حساسية النفس تكون عندما يهان الانسان ولكنه لايكون قلقا فى نفسه أو يتسرب الى قلبه الغضب (١).

---

(١) ٣٢٥ The Paradise of the Holy Fathers
جزء (٢)

ونستطيع أن نقول أن المرحلة الاولى وهى ضبط الجسد وحركاته من الغضب ومنع الفم وبقية الحواس من تتميم خطية الغضب لها نصيب من الجهاد البشرى ، فينبغى هنا على الإنسان الذى يطلب كمال الفضيلة أن يجاهد ويتعب — وأما المرحلة الثانية التى تلى هذه المرحلة والمكملة لها فهى من عمل النعمة الإلهية ، ونقصد بذلك اكتساب الإنسان لهذه الفضيلة . فاكتساب الفضائل فيه شطران : نصيب من الجهاد البشرى وعمل النعمة الإلهية .

وموسى الأسود كان إلى هذه المرحلة يجاهد فكان الغضب يصارعه وكان هو يقمع ذاته — فهى مرحلة الجهاد ضد رغبات الجسد والنفس ، لأجل هذا قال بأنه كان منزعجاً من الداخل ،. ويقصد أنه لم يصل إلى مرحلة كمال الفضيلة التى تهبها النعمة .

وهكذا كما رأينا أن النعمة الإلهية كلات جهاد موسى باكتساب الفضائل ، وهذا ما اتضح حينما جرب من الأب البطريرك وظهرت فضيلته .

فضـــائله

١ - عطفه على الخطاة وعدم دينونته لهم

أخطأ أخ فى الاسقيط يوما ما فانعقد لمحاكمته مجلس وأرسلوا فى طلب أنبا موسى ليحضر ، فابى وأمتنع عن الحضور ، فأتاه قس المنطقة وقال أن الآباء كلهم ينتظرونك ، فقام وأخذ كيسا مثقوباً وملأه رملا وحمله وراء ظهره وجاء إلى المجلس ، فلما رآه الآباء هكذا قالوا له : « ما هذا أيها الأب » ؟ فقال هذه خطاياى وراء ظهرى تجرى دون أن أبصرها ، وقد جئت اليوم لإدانة غيرى على خطاياه ، فلما سمعوا ذلك غفروا للأخ ولم يحزنوه فى شىء (١)

٢ — هروبه من المجد الباطل

سمع حاكم المنطقة يوما بفضائل القديس موسى وأراد أن يراه فاتخذ طريقه إلى شيهيت فعلم الأب القديس (وكان وقتئذ متقدما فى السن) بهذه الزيارة ، ولكى يهرب من الضربة التى سوف تقع على تواضعه من جراء هذه الزيارة أختبأ وسط

---

(١) عن بستان الرهبان ، و ص ١٣٢ ، بلاديوس .

البوص فى المستنقع ، وفى طريقه تقابل مع الحاكم وحاشيته الكريمة ، فقال له الحاكم : « أيها الرجل العجوز هل يمكن أن تعلمنى أين توجد قلاية الأب موسى ، فرد عليه : وماذا تريد إذن أن تسأله فهو رجل متقدم فى الأيام وغير مستقيم . . . » ؟ ، فسبب هذا الحديث قلقا للحاكم واستمر فى طريقه وقرع باب الدير حيث كان الإخوة ينتظرونه ، فقال لهم ! « يا آبائى لقد سمعت كلاما كثيرا عن الأب موسى ، وجئت للصحراء لكى أراه ، وعلى مسافة من هذا المكان تقابلت عند المستنقع مع عجوز وسألته أين قلاية الأب موسى فرد على أن فى الذهاب إليه مشقة كبيرة ، وهو رجل عجوز غير مستقيم . . . » وكان لهذه الكلمات وقع كبير فى نفوس الجميع ، فأخذوا يصرخون ويحتجون بشدة من ترى يكون هذا العجوز الضعيف العقل هكذا حتى يتكلم بهذه الطريقة عن الأب القديس المكرم فى كل شيهيت ، فقال الزائر العظيم أنه عجوز ضئيل الجسم يلبس ملابس طويلة وبالية جدا ووجهه اسمر من الشمس ، وله ذقن بيضاء طويلة ونصف رأسه خال من الشعر ، وعند ذلك فهموا السر ، فقد كان الحاكم قد تقابل مع الأب موسى نفسه وتصنع ذلك ووصف نفسه بالكلمات المذكورة فرجع الحاكم متأثرا جدا .

٣ – احتمال الإهانات

حدث أن بعض اخوانه أرادوا يوما أن يمتحنوا تواضعه امتحانا عسيرا فكان مجمع فى شيهيت ، وكان قد ذهب اكثر سكان الجبل والصحراء إلى هناك ، وعند وصول الأب موسى كانت هيبة وأخذ القدماء يستقبلونه بعلامات الاحتقار الصريح قائلين : « لماذا يجتمع معنا هذا الحبشى وماذا يفعل بين صفوفنا ! ؟ » ، لماذا جاء ليخرب ترتيب رهبنتنا ؟ ! هل نحن فى حاجة إلى لص بيننا ؟ ! ، وأمام هذه التهكمات الكثيرة بقى الأب القديس صامتا . ولكن عند انفضاض المجمع أسرع الإخوة اليه ليعترفوا له بالباعث الذى دفعهم لان يقولوا ذلك وتحيروا جدا واحدا فواحدا للهدوء الكامل الذى أظهره ، وسألوه يا أبانا لماذا لم تضطرب ؟ ! فأجابهم قائلا : « الحق انى اضطربت ولكنى لم اتكلم شيئاً » .

٤ – زهده

حدث أن قوما اتوا اليه من مصر وكان موضوعاً على المائدة ثعبان مشوى ، ولما حان وقت الغذاء وأراد الإخوة أن يأكلوا فنعهم القديس قائلا : « لاتقربوا هذا يا اخوتى فإنه وحش شرير

فقالوا له : « لماذا فعلت هكذا يا أبانا » ؟ فقال لهم يا أخوتى أن هذه النفس المسكينة اشتهت سمكا ففعلت هذا كى ما أكسر شهوتها الرديئة ، وان الأخوة تعجبوا كثيرا ومجدوا الله الذى اعطى قديسيه هذه النعمة العظيمة (١)

مواهب الروح القدس

١ — بصلاته ينزل المطر

قيل عن أنبا موسى : أنه اثناء إقامته فى الصخرة (٢)، تعب ساهراً فقال فى نفسه ، كيف يمكننى أن أجد مياها لحاجتى ها هنا؟ فجاءه صوت يقول له :

« ادخل ولاتهتم بشىء » فدخل ، وفى أحد الأيام زاره قوم من الآباء ولم يكن له وقتئذ سوى جرة ماء فقط فأعد عدساً يسيراً ، فلما نفذ الماء حزن الشيخ وصار يخرج ويدخل ثم يخرج ويدخل وهكذا . . . وهو يصلى إلى الله ، وإذا بسحابة ممطرة قد جاءت فوق حيث كانت الصخرة . وسرعان ماتساقط المطر فامتلأت أوعيته من الماء — فقال له الآباء : « لماذا كنت تدخل

(١) عن مخطوطة المتحف القبطى . (٢) أنظر ص ٣٢

وتخرج ؟ ! » فأجابهم وقال : كنت أصلى الى الله قائلا « انك أنت الذى جئت بى الى هذا المكان وليس عندى ماء ليشرب عبيدك وهكذا كنت أدخل وأخرج مصليا لله حتى ارسل لنا الماء » .

٢ — شفاء المرضى واخراج الشياطين

كافأ الله القديس موسى لأتعابه الكثيرة بموهبة عمل المعجزات والسلطان على الشياطين ومنحه بالنعم الإلهية وكان يطرد الشياطين ومثل الذباب كانت تطير.

حدث أن قوما اتوا من ديار مصر إلى البرية ومعهم أناس ضعفاء بهم أرواح شياطين وأمراض كثيرة بكل نوع ، وأن أحدهم صاح قائلا : « يا أنبا موسى أرحمنى وخلصنى من عبودية الشيطان ، وأن الأخوة لما سمعوا هذا الكلام علموا أن الروح القدس قد سكن فى أنبا موسى ـ فتقدم القديس الى اولئك الرجال الذين بهم الشياطين وصلى عليهم فصاروا أصحاء .

وفى بعض الأيام إذ كان القديس ماشيا فى البرية نظر بقرة قد

ولدت عجلا ولم تتركه يشرب من لبنها قط ، وأن القديس أنبا موسى نظر اليه وتحنن عليه وأخذ ماء وسكبه على البقرة وولدها ، وللحال أقبل إلى أمه وأخذ يرضع من لبنها (١)

٣ — ينظر أبواب السماء مفتوحة :

قيل أن انبا موسى ذهب مرة ليستق ماء فوجد أنبا زكريا على البئر يصلى وأحس أن روح الله حالا عليه : فقال له « يا ابتاه قل لى ماذا أصنع لأخلص ؟ » ، فا أن سمع أنبا زكريا هذا الكلام حتى انطرح بوجهه عند رجليه وقال له : « يا أبى تسألنى أنا ؟! » ، قال انبا موسى : « صدقنى يا أبى زكريا انى ابصرت روح الله حالا عليك ، ولذلك وجدت نفسى مسوقا بنعمة الله أن أسألك » .

وحدث أنه لما قارب الأنبا زكريا على الموت وكان الاب ايسيذورس جالسا معه قال افرح وسر يا بنى زعارياس لان أبواب السماء قد فتحت لك (٢)

---

(١) من مخطوطة للمتحف القبطى .

(٢) ص ١١٢ جزء ١ The Paradise of the Holy-Fathers

الفصل الثامن

حياته الأخيرة واستشهاده

بينما كان الاخوة جالسين بالقرب من القديس موسى قال لهم سوف يقبل البربر اليوم الى البرية ، فقوا ، اهربوا ، قالوا له الا تريد أنت الهرب ؟ أجابهم : « منذ طول هذه السنين وانا انتظر هذا اليوم لكى يتم قول السيد المسيح من يأخذ بالسيف بالسيف يؤخذ » قالوا : « نحن ايضا لانهرب ولكن نموت معك فأجاب وقال لهم : « أما عن نفسى فلا أهتم بشىء » ، وكانوا سبعة أخوة قال لهم : « هوذا البربر يقتربون إلى الباب ، فدخل « البربر » وقتلوهم ولكن واحدا منهم كان خائفا هرب بين الحصير ورأى سبعة تيجان نازلة من السماء توجت السبعة ، وهكذا تقدم السابع ونال معهم اكليل الشهادة (١)

(وقد روت المخطوطة ٢٥٧ طقس بالمتحف القبطى)

« أنه هرب واحد منهم واختنق فابصر ملاك الرب والاكليل بيده وللوقت خرج مسرعا أمام البربر ونال اكليل الحياة من يد الملاك .

---

(١) عن مخطوطة قبطية باللهجة الصعيدية بكتاب ص ١٢٢ Le manuscrit de la Version Copte.

وهكذا اكملوا جهادهم ونالوا الاكاليل الغير المضمحلة وكان ذلك فى ٢٤ بؤونة — وكانت نياحة القديس حوالى سنة ٤٠٨ م (وهو تاريخ هجوم البربر الاول على وجه التقريب) وهو فى سن الخامسة والثمانين أو الخامسة والسبعين كما ذكر البعض.

وهكذا انعم الرب على هذا القديس بثلاثة أكاليل الواحد من أجل اتعابه ونسكياته والآخر لاجل رهبنته وكهنوته والثالث لاجل سفك دمه الطاهر.

والاب موسى هو أول شهيد فى الاسقيط وكان قد تنبأ بأن الرب سوف يعاقب الرهبان لتقصيراتهم بهجوم البربر ، وكان الاب موسى يقول فى البرية اذا حفظنا أوامر آبائنا فإنى أؤكد لكم أن البربر لن يأتوا الينا ؛ ولكن إذا لم نحفظ ذلك فستترك هذه البرية خراباً ! !

وقد سبب هجوم البربر المشار اليه تشتت الرهبان وظلت البرية خربة بعض الوقت ومهجورة .

الفصل التاسع

تعاليم القديس الأنبا موسى

١ — دينونة الآخرين

ا — قال القديس أنبا موسى : « لن يأتينا الافراز (١) مالم تتقن أسباب مجيئه وهى : السكوت لانه كنز الراهب والسكوت يولد النسك ، والنسك يولد البكاء ، والبكاء يولد الخوف ، والخوف يولد الاتضاع ، والتواضع مصدر التأمل فيما سيكون (بعد نظر) وبعد النظر يولد المحبة والمحبة تولد للنفس الصحة الخالية من الاسقام والامراض ، وحينئذ يعلم الإنسان أنه ليس بعيداً من الله فيعد ذاته للموت ، فالذى يريد ادراك هذه الكرامات كلها عليه الا يهتم بأحد من الناس ولا يدينه.

ب — « احفظ لسانك ليسكن فى قلبك خوف الله وأما الذى

(١) الافراز هو القدرة من الله على تمييز الأفكار المقدسة من أفكار ابليس

يدين فقد هدم سوره بنقص معرفته ، ومن يهتم بضبط لسانه يدل على أنه محب للفضيلة ، وعدم ضبط اللسان يدل على أن داخل صـــاحبه خال من أى عمل صالح.

جـ — « اياك أن تسمع سقطة أحد اخوتك لئلا تدينه خفية»

د — « قال أنبا موسى للأب بيمين » :

« أن الأفضل للانسان أن يقدم ذاته للموت من أن يدين قريبه ، ويعيب عليه فى أى شىء » . وسئل ما هى النفس الخاطئة ؟ اجاب انها تلك النفس التى تحمل خطاياها وتنظر الى خطايا قريبها ، فلنحذر من أن نترك خطايانا وندين خطايا القريب لأنه من الجهل حقا أن يكون لإنسان ميت فيتركه ويذهب ليبكى على ميت جاره ، فانظر إلى خطاياك أولا ، ولا تفكر بشر على انسان ولا تمشى مع النمام ولا تصدق كلام نميمة بخصوص إنسان » .

هـ — « لا تكن قاسى القلب على اخيك فإننا جميعا قد تغلبنا الافكار الشريرة »

٢ — مقاومة الأفكار الشريرة

أ ـ أماتة الجسد :

سأل أحد الاخوة أنبا موسى قائلا : « ماذا أصنع لكى لا أصنع أمرا يتراءى لى دائما ؟ فقال له الشيخ : انك إن لم تصبح مقبورا كالميت فلن تستطيع أن تمنعه (أى يجب أن يعتبر الانسان نفسه ميتا عن أمور الجسد الشريرة) .

ب — طرد الخوف والشك :

« ليكن قلبك من نحو الأفكار الشريرة شجاعا جدا فتخف عنك حدتها ، اما الذى يخاف منها فانها ترعبه فيخور ، كما أن الذى يفزع منها يثبت عدم ايمانه بالله حقا ولن يستطيع الصلاة قدام يسوع سيده من كل قلبه ما لم يسد على الأفكار أولا » .

جـ — الانسحاق وطلب معونة الله :

« النوح يطرد جميع أنواع الشرور عند ثوراتها » .

د — كثرة الكلام :

السكوت بمعرفة يهذب الفكر وكثرة الكلام تولد الضجر والهوس .

٣ – الجهاد فى الحياة الروحية

– إكليل الجهاد :

« من يحتمل ظلما من أجل الرب يعتبر شهيدا ، ومن يتمسكن من أجل الرب يعوله الرب ، ومن يصير جاهلا من أجل الرب يحكمه .

وقد وضح هذا الكلام فى خطاب أرسله الى الأب نومين قال :

« إنى أوضل خلاصك بخوف الله قبل كل شىء طالبا أن يجعلك كاملا بمرضاته حتى لا يكون تعبك باطـــلا بل يكون مقبولا من الله لتفرح . لأننا نجد أن التاجر اذا ربحت تجارته كثر سروره وكذلك الذى يتعلم صنـاعة إذا ما اتقنها كما ينبغى ازداد فرحه متناسيا التعب الذى أصابه ، وذلك لأنه قـــد أتقن الصنعة التى رغب فيها » .

ومن تزوج امرأة وكانت عفيفة صائنة لنفسها فمن

شأنه أن يفرح قلبه ، ومن نال شرف الجندية فمن شأنه أن يستهين بالموت فى حربه ضد اعداء ملكه وذلك فى سبيل مرضاة سيده ، وكل واحد من أولئك الناس يفرح إذا ما أدرك الهدف الذى تعب من أجله فاذا كان الامر هكذا مع شئون هذا العالم الفانى ، فكم وكم يكون فرح النفس التى قد بدأت فى خدمة الله ، الحق أقول لك أن سرورها يكون عظيما ، لأنه فى ساعة خروجها من الدنيا تلاقاها أعمالها وتفرح لها الملائكة اذا أبصروها ، وقد أقبلت سالمة من سلاطين الظلمة لأن النفس اذا خرجت من جسدها رافقتها الملائكة ، وحينئذ يلتقى بها أصحاب الظلمة كلهم ويمنعونها عن المسير ملتمسين شيئا لهم فيها ، لكن أعمـــالها التى تحفظها وتستر عليها منهم فاذا تمت غلبتها بأعمالها تفرح الملائكة حينئذ ويسبحون الله معها حتى تلاقى الرب بسرور ، وفى تلك الساعة تنسى جميع ما اتاها من أتعاب فى هذا العالم ، فسبيلنا أيها الحبيب أن نبذل قصارى جهدنا ونحرص بكل قوتنا فى هذا الزمان القصير على أن نصلح أعمالنا وننقيها من كل الشرور عسانا نخلص بنعمة الله من أيدى الشياطين المتحفزين لملاقاتنا اذ انهم يترصدون لنا ويفتشون أعمالنا

إن كان لهم فيها مكانا فإنها تفرح فرحا عظيما » .

ب . لماذا نحب الفضائل ؟

+ لنحب المسكنة لنخلص من محبة الفضة .

+ لنحب السلامة لننجو من البغضة .

+ لنقتنى الصبر وطـــول الروح لأن ذلك يحفظنا من صغر النفس .

+ لنحب الكل بمحبة خالصة لنخلص من الغيرة والحسد .

« من له معرفة وهمة فقد هزم الشر ، لإنه مكتوب أن الاهتمام ملازم الرجل الحكيم ، والضعيف الهمة لم يعرف بعد ما هو لخلاصه ، أما الذى يقهر أعداءه فانه يكلل بحضرة الملك . ولولم تكن حرب وقتال ما كانت فضيلة ومن يجاهد بمعرفة فقد نجا من الدينونة لأن هذا هو السور الحصين » .

+ « اختبر نفسك كل يوم وتأمل فى أى المحاربات انتصرت ولا تثق بنفسك بل قل : الرحمة والعون هما من الله ، ولا تظن فى نفسك انك أجدت شيئا من الصلاح الى آخر نسمة من حياتك .

٤ — الصلاة

أ ـ صلاة الانسحاق :

يبنغى لنا أن نجتهد بقدر استطاعتنا بالدموع أمام ربنا ليرحمنا بتحننه ، لأن الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالفرح .

ب . صلاة الاشتياق :

« لنقتنى لأنفسنا الشوق الى الله فان الاشتياق اليه يحفظنا من الزنا » .

جـ . الصلاة المستمرة :

داوم الصلاة كل حين ليستنير قلبك بالرب

مداومة الصلاة صيانة من السبي ، ومن يتوانى قليلا فقد سبته الخطية .

د . اليقظة فى الصلاة والانتباه .

« كن متيقظا فى صلاتك لئلا تأكلك السباع خفية » .

هـ . التأمل فى ملكوت السموات :

« اذكر ملكوت السموات لتتحرك فيك شهوتها » .

و . السكوت :

« من تعود الكلام بالكنيسة فقد دل بذلك على عدم وجود خوف الله فيه ، وذلك لأن خوف الله هو حفظ وصون للعقل .

ز . الأعمال الصالحة والصلاة :

كان الانبا موسى يقول: « اذا لم تكن الاعمال تتفق والصلاة فان ذاك الذى يصلى تكون صلاته باطلة .

٥ - الاتضاع

ا + « لتلتزم الاتضاع فى كل أمر وفى كل عمل »

ب + « لنحتمل السب والتعيير لنتخلص من الكبرياء »

+ « اذا تقبل الإنسان الذم والتوبيخ فأن ذلك يولد له الاتضاع . »

حـ . عدم الثقة فى برنا :

« لنحرص بقدر استطاعتنا والرب يعين ضعفنا ، لا تستكبر وتقول طوباى لأنه لا يمكنك أن تطمئن من جهة أعدائك »

« لا تثق بنفسك مادمت فى الجسد حتى تعبر عنك سلاطين

الظلمة . »

د . قساوة القلب تولد الغيظ ، والوداعة تولد الرحمة .

هـ . فوائد الاتضاع :

« تواضع القلب يتقدم الفضائل كلها وشهوة البطن أساس كل الأوجاع - الكبرياء هى أساس الشرور كلها والمحبة هى مصدر كل صلاح . »

٦ - المجد الباطل

ا . رفض كرامة العالم وشرفه

لنرفض شرف العالم وكراماته لنتخلص من المجد الباطل . »

ب . انكار الذات :

« من ينكر ذاته ولا يظن أنه شىء فذلك يكون سالكا حسب مشيئة الله . »

حـ . مديح الناس :

على مثال الصدأ الذى يأكل الحديد كذلك يكون مديح الناس الذى يفسد القلب إذا مال اليه ، وكما يلتف اللبلاب على الكرم

فيفسد ثمره كذلك السبح الباطل يفسد ثمر الراهب اذا كثر حوله ، وكما يفعل السوس فى الخشب كذلك تفعل الرذيلة فى النفس.

د . مديح الانسان لذاته :

أشد الرذائل كلها هى أن يزكى الإنسان نفسه بنفسه ، من ينكر ذاته يسلك فى سلام ، والذى يعتقد فى نفسه أنه بلا عيب فقد حوى فى ذاته سائر العيوب .

٧ – الطهـــارة

ا . خطورة النظر الشرير :

« احفظ عينيك لئلا يمتلىء قلبك أشباحا خفية . »

« من ينظر إلى امرأة بلذة فقد أكمل الفسق بها . »

ب . الاشتياق إلى الطهارة ومحبتها :

« لنحب طهارة القلب والجسد لننجو من الدنس . »

« الذى يريد كرامة الرب عليه أن يتفرغ لطهـارة نفسه من الدنس » .

حـ . بهجة الخلاص تبتلع حزن الخطية :

« الحرية تولد العفة ، ومكابدة الهموم تولد الأفكار » (١)

د . « الذى يتهاون بعفة جسمه يخجل فى صلاته . »

هـ . الافراز فى الحرب ضد الزنا :

« إذا حسن لك الزنا فاقتله بالتواضع ، والجأ بنفسك إلى الله فتستريح . ان حوربت بجمال الجسد فتذكر نتانته بعد الموت ، فانك تستريح ، وان جاءتك أفكار عن النساء فاذكر اين ذهبت الأوليات منهن واين حسنهن وجمالهن ، وكل هذه الأمور يختبرها الإنسان بالإفراز ويميزها . »

٨ – تداريب التوبة

ا . الحاجة للتوبة :

« الرب عرف أن الإنسان شقى ، ولذلك وهب له التوبة ما دام فى الجسد . »

(١) الحرية التى حررنا بها المسيح من نير الخطية .

ب . عدم اليأس :

« الذين يريدون أن يقتنوا الصلاح وفيهم خوف الله فإنهم إذا عثروا لا ييأسوا بل سرعان مايقومون من عثرتهم وهم فى نشاط واهتمام اكثر بالأعمال الصالحة ».

جـ ـ الاعتراف بالخطية :

« صيانة الإنسان أن يقر بأفكاره ومن يكتمها يثيرها عليه ، أما الذى يقر بها فقد طرحها عنه » .

« من يتذكر خطاياه ويقر بها لا يخطىء كثيرا أما الذى لايتذكر خطاياه ويقر أنه يهلك بها ، الذى يقر بضعفه موبخا ذاته أمام الله فقد اهتم بتنقية طريقه من الخطية ، أما الذى يؤجل ويقـــول ، دع ذلك لوقتـــه فإنه يصبح مأوى لـكل خبث ومكر » .

د ـ الاسراع فى التوبة :

« مادامت لك فرصة للتوبة فارجع وتقدم الى المسيح بتوبة خالصة ـ سارع قبل أن يغلق الباب فتبكى بــــكاء مرا فتبل خديك بالدموع بدون فائدة ـ اجلس وترقب الباب قبل ان

يغلق ـ اسرع واعزم على التوبة ، فإن المسيح الهنا يريدخلاص جميـــع النـاس واتيانهم إلى معرفة الحق ، وهو ينتظرك وسوف يقبلك »

هـ ـ مخـــافة الرب :

« ان آثرت ان تتوب الى الله فاحترز من التنعم فإنه يثير سائر الأوجاع ويطرد خوف الله من القلب ، أما أنت فاطلب خوف الله بكل قوتك فإنه يزيل كل الخطايا »

و . الانسحاق والدموع :

« يجب أن يكون لخادم الله قلب منسحق بالندامة ولابد أن يتخشع كل التخشـــع لأجل ذنوبه ويراهـا دائمـا امـام عينيه .

٩ - عدم محبة العالم

أ . التطلع للحياة الأبدية :

لاتهتم بشئون العالم كأنها غاية أمالك فى هذه الحياة ـ وذلك لتستطيع أن تخلص ، لايكن لك رجاء فى هذا العالم لئلا يضعف

رجاؤك فى الرب ابغض كلام العالم كى تبصر الله بقلبك.

ب . الهروب من العالم :

• الرجل الذى يهرب من العالم يكون مثـــل العنب الناضج ولكن ذلك الذى يسكن فى ضوضاء العالم يشبه الحصرم (١) .

جـ . النسـك :

• نسك النفس هو بغض التنعم ونسك الجسد هو العوز.

د . أثر مخالطة أهل العالم :

• حديث أهل العالم والاختلاط بهم يظلم النفس وينسيها التأمل . محبة المقتنيات تزعج العقل والزهد فيها يمنحه استنارة.

• الذى يخلط حديثه بحديث أهل العالم يزعج قلبه.

محبة أهل العالم تظلم النفس والابتعاد عنهم يزيد المعرفة .

١٠ — شهوات الجسد

أ ـ ابغض شهوة البطن لئلا يحتاط بك عماليق.

---

(١) ص ٦٠٢ الجزء الأول
The book of Paradise of Palladius

ب ـ لاتحب الخمر لئلا تحرمك من رضى الرب .

جـ ـ ضبط شهوة البطن يقلل من تأثيرات الشهوات.

د ـ شهوة الأطعمة توقظ الغرائز والانفعالات والامتناع عنها يقمعه .

هـ ـ إذا قاتلتك الشياطين بالأكل والشرب والملبس فارفض كل ذلك منهم ، وبين لهم حقارة ذلك فينصرفوا عنك.

و ـ اعلم يقينا أن كل انسان يأكل ويشرب بلا ضابط ويحب أباطيل هذا العالم فإنه لايستطيع أن ينال شيئا من الصلاح بل ولن يدركه ، لكنه يخدع نفسه .

ز ـ الشبع من النوم يثير الأفكار وخلاص القلب هو السهر الدائم .

ح ـ النوم الكثير يولد الخيالات الكثيرة والسهر بمعرفة يزهر العقل ويثمره .

ط ـ النوم الكثير يجعل الذهن كثيفاً مظلما والسهر بمقدار يجعله لطيفاً نيراً.

ى . زينة الجسد هزيمة للنفس ومن يهتم بها فليست فيه مخافة الله

ك . قهر الشهوة يدل على تمام الفضيلة ، والانهزام لها يدل على نقص المعرفة.

١١ - تعب الجسد

البطالة مفسدة للنفس :

ا . أياك والبطالة لئلا تحزن . اتعب جسدك لئلا تخزى فى قيامة الصديقين.

ب . أهم اسلحة الفضائل هى إتعاب الجسد بمرفة والكسل والتوانى يولدان المحاربات .

جـ . محبة التعب عون عظيم وأصل الهلاك هو الكسل

د . أحرى بك أن تعمل بيديك ليصادف المسكين منك خبزه لأن البطالة موت وسقطة النفس.

هـ . إذا سكنت مع إخوة فلا تأمرهم بعمل ما ، بل اتعب معهم لئلا يضيع أجرك.

وجوب السهر :

أ ـ لاتحب الراحة مادمت فى هذه الدنيا ، لاتأمن للجسد إذا رأيت نفسك مستريحا من المحاربات فى أى وقت من الأوقات، لأنه من شأن الأوجاع أن تثور فجأة بخداع ومخاتلة إن توانى الانسان عن السهر والتحفظ ، وحينئذ يهاجم الاعداء النفس الشقية ويختطفونها ، لذلك يحذرنا ربنا قائلا : إسهروا

ب ـ « ان التخلى عن العمل يظلم العقل ولكن الاحتمال والمثابرة على العمل ينيران العقل »

١٢ - الصدقة

أ ـ « اعط المحتاجين بسرور ورضى لئلا تخجل بين القديسين وتحرم من أمجادهم »

ب ـ « حب المساكـــين لتخلص بسببهم فى أوان الشدة ».

جـ ـ « الصدقة بمرفة تولد التأمل فيما سيكون وترشد إلى

المجد ، اما القاسى القلب فإنه يدل على انعدامه من أية فضيلة ».

١٣ - ذكر ساعة الموت

أ - « فكر فى نار جهنم لكيا تمقت أعمالها ».

ب - « إذا قمت كل يوم بالغداة تذكر انك سوف تعطى لله جوابا عن سائر أعمالك فلن تخطىء البتة ، بل ويسكن خوف الله فيك ».

جـ - أعد نفسك للقاء الرب فتعمل حسب مشيئته ، افحص نفسك ها هنا واعرف ماذا يعوزك فتنجو من الشدة فى ساعة الموت ويبصر اخوتك أعمالك فتأخذهم الغيرة الصالحة ».

د - « ذكر الدينونة يولد فى الفكر تقوى الله ، وقلة خوف الله تضل العقل ».

السكـــوت :

لما حضرت أنبـــا زكريا الوفاة سأله أنبا موسى قائلا : « أى الفضائل اعظم يا إبنى ؟ فأجابه : « على ما أراه

يا أبتاه ليس شىء أفضل من السكوت » فقال له : « حقا يا ابنى بالصواب تكلمت ».

مطالعة سير القديسين :

« كن مداوما لذكر سير القديسين كيما تأكلك غيرة أعمالهم ».

* * *

ارشادات القديسين

٧ — نصيحة لأحد الاخوة ورفضه النصيحة وسقوطه فى الزنا

كان بين إخوة شيهيت راهب متوسط العمر مرض مرضاً خطيرا فاعتنوا به غاية الاعتناء ، ولكن المريض كان يتألم من كونه عالة على الآخرين اكثر مما كان يتألم من مرضه ، وقرر الرجوع مؤقتاً إلى العالم إلى أن يتم شفاؤه ، فقال له أنبا موسى

« انت مخطىء جداً لأنك سوف تقابل فرصا للخطيـــة وسوف تسقط ، ولكنه لم يصدقه وكان يقول : « انه بالنسبة لعمرى دى قد برد والذهن غير مهتم بما يسمى ملذات الحواس ، وذهب ليعالج عند أقربائه وكانوا يتهافتون على العناية بالقديس ، ثم أن تغيير الهواء والعناية الكبيرة والأدوية الجيدة ، كل هذه أتت بفاعليتها لتحسن صحته ، ولكن يا للأسف كان الشيطان ساهرا فى شخص ممرضة شابة وكان إخلاصها أولا يوقظ استلطافه لها ثم بعد ذلك تطورت العلاقة الى صداقة ثم أنه مع الصحة عادت القوة والرجل المتعود على الصحـــراء انتعش واستيقظت فيه الشهوات ، وسقط فى الزنا ، وكان السقوط المخزى لهذا الملاك دليلا على صحة مخاوف الأب موسى الذى كان مجربا لهذه المخاوف .

وعلمت شيهيت بالحالة المحزنة التى لضيفها السابق وصلوا صلوات حـارة لكى يرده الرب إلى التـوبة واستجـاب الله لتوسلات خدامه الأمناء وشعر هذا الضال بالندم ، وقرر العودة فى يوم عيد حتى يكون لاعترافه وقع أكبر ، وحمل معه الطفـل ثمرة خطيئته ، وبعـد الانتهـاء من الخـدمة تأهب الإخوة للخروج ، فدخل الكنيسة وعنـد منظره المبكى أخـذ الإخوة يبكون وينوحون ويتـأوهون ، وخرج الراهب الـذى سقط قائلا : « أتنظرون هذا الطفل ؟ أنه ثمرة عصيـانى للنصائح الجيدة التى نصحنى بها الأنبـا موسى ، فلو كنت بقيت معكم فى الصحراء ، لم تكن لتحدث لى ويلاتى ، فكونوا جميعاً على حذر لأنه حتى السن المتقدم نفسه ليس ضمانا أكيداً ضـد الطبيعة الفاسدة ، صلوا لأجلى يا إخوتى ارجوكم لكى يرحم الله نفسى ، وقد أتخذ معه الآباء الاجراءات الواجبة(١)

• • •

---

(١) ذكر « شينو » هـذه القصة ، كما ذكرها « ريفيه دراجيه » « وبلاديوس »

الفصل العاشر

القديس موسى الأسود لم يكن حبشيا ؟! (١)

ذكر ايفلين هوايت واوليرى ومكسيموس مظلوم وغيرهم أن القديس موسى كان حبشيا أسود اللون والصحيح أنه لم يكن حبشيا ولكنه كان أسود اللون كأهل الحبشة أو كأهل النوبة ، وكذلك ذكر فى البستان عنه مرة (هـذا الحبشى) ومرة أخرى (هذاالنوبى) . فكلمة حبشى فى البستان تعنى (أسود) ! كما يؤخذ من سيرة القديس أن بسببه تاب كثيرون من اللصوص زملائه ، وكانوا يقيمون بصحراء مصر ، ومن غير المعقول أن يكون هؤلاء من بلاد الحبشة .

ولم تذكر الكتب الكنسية شيئا عن أنه من بلاد الحبشة ولو كان ذلك صحيحا لذكر ذلك مع اسمه فى مجمع التسبحة أو القداس الإلهى أو حتى القراءات الكنسية الأخرى .

---

(١) أفردنا بحثا شاملا لهذا الوضوع ولكن لم ننشره لضيق المقام.

اتماع ٤٤

الفصل الحادى عشر

دير القديس موسى

١ - دير كنيسة أبو مقار :

كنيسة القديس أبو مقار الكبير هى أول كنيسة بنيت فى البرية كما يؤخذ ذلك من مخطوطة مكتبة دير البرموس ٧ : ٦ ص ١٢٣ (راجع كتاب دير السيدهالعذراء برموس للأب أنطونيوس يسطس ص ٥١ ، حيث جاء فيه :

« لما نظر الأب مكاريوس كثرة الجموع ومحبتهم لله جمعهم اليه ليؤازروا بعضهم بعضا ، وبنى لهم كنيسة حسنة يتقربون فيها . . . على اسم السيدة العذراء .

وقد كان القديسان مكسيموس ودوماديوس أولاد ملك الروم يمضيان الى هذه الكنيسة فى يوم الاحد وهما صامتان للتناول من الأسرار المقدسة وقد سمى الدير المقام عليها دير

السيدة برموس (١) . ويبدو أن هذه التسمية جاءت بالنسبة لوجود القديسين مكسيموس ودوماديوس فى هذا الوقت وترددهما على هذه الكنيسة .

٢ - دير « برموس »

لما أتى القديسان مكسيموس ودوماديوس الى البرية سكنا فى مغارة بالقرب من الكنيسة السالفة الذكر ، وكان الأب مكاريوس معجبا بسيرتها الطاهرة حتى أنه كان يأخذ زائرية الى قلايتها ويقول : « هلموا لنعاين مكان شهادة الغرباء الصغار ... » لأنها كانا غريبان وشابين ومع ذلك صارا شهيدين من أجل اتعاب النسك وتعب البرية .

وبعد نياحتها بسنة ، وبعد كثرة عدد الرهبان فى هذه المنطقة قال الأب مكاريوس بصوت عال على الجمع : « لنكرم هـــذا المكن لاجل جلالة هذين الابوين الحكيمين الروم » (٢) . وبنى القديس أبو مقار كنيسة فى موضعها وأمر أن يدعى الدير

---

(١) برموس كلمة قبطية معناها « الروم »

(٢) ص ٥٤ كتاب دير السيده برموس للأب انطونيوس يسطس .

باسميها ، حيث دفن فيه جسديها ، وكانا أول من تنيح من القديسين فى الإسقيط .

٣ - لما ذاع ذكر الاب موسى الاسود فى القداسة وبعد أن صار قسا اجتمع حوله عدد كبير من النساك بلغ حوالى خمسمائة أخ فبنى لهم ديرا سمى باسم دير أنبا موسى الاسود ، وكان به رهبانه ، كما كان بدير برموس السابق بعض رهبانه أيضا .

فى سنة ١٠١٧ م أيام البابا خريستوذولوس ذكر أنه كان بدير « برموس » السالف ذكره ستون راهبا واثنان بدير موسى . (١) .

ويبدوا أنه بعد ذلك لما قل عدد الرهبان جدا بدير موسى اندمج رهبان ذلك الدير مع رهبان دير برموس . وظل دير أنبا موسى الاسود أو برموس (لاننا لانعرف تبريرا آخرا لهذه التسمية فكان يطلق عليه أحيانا دير أنبا موسى بصفته أنه كان رئيسا له ، وأحيانا أخرى دير برموس تذكارا للقديسين مكسيموس

---

(١) ص ٥٦ كتاب السيده برموس للاب انطونيوس يسطس .

ودوماديوس الذين نقلت محتويات ديرهما اليه) قائما الى جانب دير السيدة برموس حتى القرن الرابع عشر فقد ذكر فى خبر أنبا بنيامين ٨٢ أنه فى سنة ١٣٣٠ م زار دير برموس وتبارك من الجسد الطاهر الذى لأبينا القديس أنبا موسى ثم قصد دير السيدة برموس ماشيا .

كما ذكر ذلك الحبر الأب البطريرك أنبا غبريال ٨٦ الذى زار الأديرة فى سنة ١٣٧٤ م .

وقد ذكره المقريزى سنة ١٤٤١ م ولم يذكر أنه كان خربا فى أيامه فقال دير سيدة برموس على اسم السيدة العذراء مريم وفيه بعض رهبان وبإزائه دير موسى ويقال أبو موسى الأسود ويقال برشوس . . . . .

ودير الأنبا موسى المذكـــور على بعد خمسين مترا من دير السيده برموس .

مما تقدم يرى القارىء أن هذين الديرين كانا قائمين لحوالى القرن الرابع عشر ، ولما تدهورت حالة الاديرة اخيرا اندثر بعضها واندثر معها دير أنبا موسى أو دير برموس .

ولما خرب دير القديس موسى - لايزال خربا للآن نقلت محتوياته الى دير السيدة برموس .

وقد نقل جسد القديس موسى الأسود (وبجواره الآن جسد القديس ايسيذروس) الى دير السيدة برموس الموجود حاليا (١)

والمرجح أن دير السيدة برموس الحالى هـــو الدير القديم المسمى بدير السيدة برموس الذى أنشأه الأب مكاريوس الكبير .

* * * * *

(١) يبدو أنه نقل معها جسدا القديسين مكسيموس ودوماديوس باعتبارهما من ضمن محتويات دير أنبا موسى .

فهرست

صحيفة

المراجع العربية

١ - أخبار نواحى مصر لأبى صالح الأرمنى (مخطوط مصور بمكتبة المتحف القبطى تحت رقم ٤٣٦ تاريخ) .
٢ - وادى النطرون ورهبانه (لعمر طوسون) .
٣ - الرهبنة القبطية (جمعية مار مينا العجايبى) .
٤ - تاريخ الكنيسة (للقس منسى يوحنا) .
٥ - الخريدة النفيسة .
٦ - السنكسار .
٧ - تحفة السائلين (للقمص عبد المسيح المسعودى) .
٨ - بستان الرهبان .
٩ - الكنز الثمين فى أخبار القديسين للأنبا مكسيموس مظلوم .
١٠ - الدفنار (مخطوط بالمتحف القبطى ٢٥٧ طقس ومقيد برقم ٢٩٠٦) .
١١ - الدفنار (مخطوط ٩٤ طقس بمكتبة كنيسة حارة زويلة الأثرية) .
١٢ - مخطوطة رقم ٤٦٩ طقس المتحف القبطى .
١٣ - المقريزى فى كتاب أخبار قبط مصر .
١٤ - كتاب دير البرموس للقمص انطونيوس يسطس .